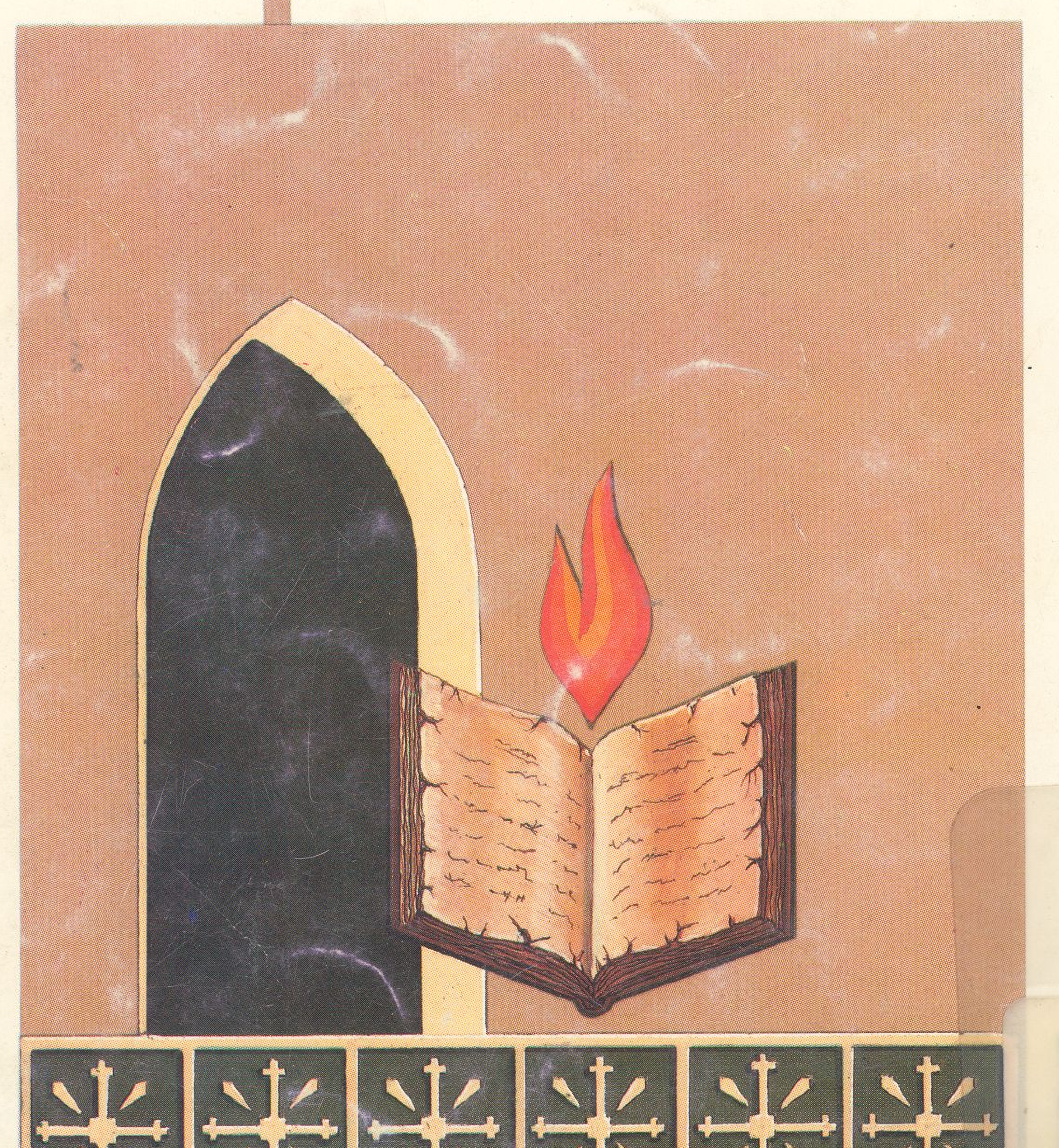
دار الثقافة

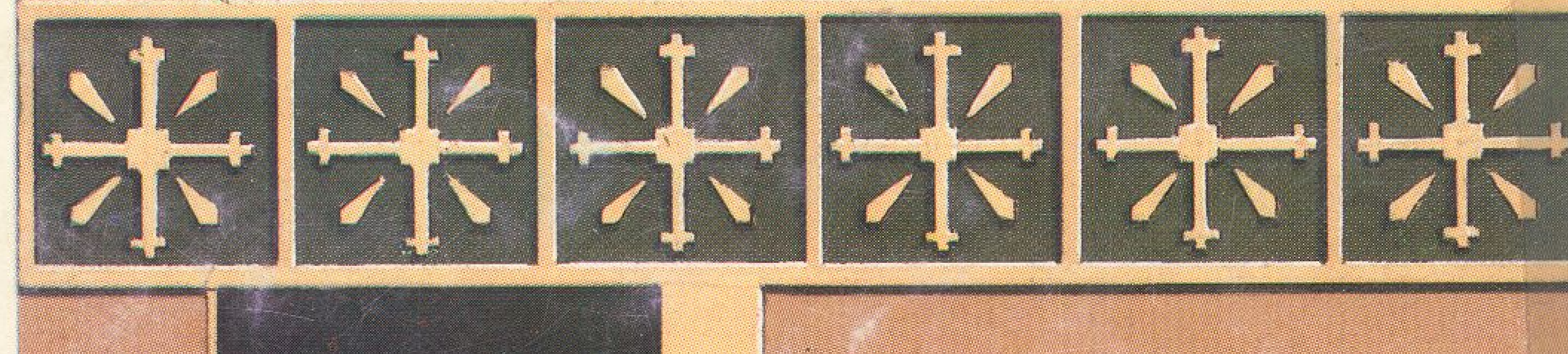


سلسلة كتب الموضوعات الكتابية

يسوع

ومشكلات البيت والمجتمع







سلسلة كتب الموضوعات الكتابية

يسوع ومشكلات البيت والمجتمع

بقلم

مارجورى داى

تعريب

القس أديب قلدس



طبعة ثانية

صدر عن دار الثقافة. ص.ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١٧٤/١٠ طم (أ) / ٥ - ٧ / ٦٨ - ٩٠

رقم الإيداع بدار الكتب: ٤١١١ - ١٩٩٠
دولى: ٣ - ٠٣ - ٢١٣ - ٩٧٧
طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة
جمع فى سيوبرس

يجمع هذا الكتاب عشرة أسئلة مما قدم للمسيح فى حياته على الأرض- تبرز مجموعة من مشكلات البيت والمجتمع: مشكلات الصفح عن المسيء،والميراث، والضرائب، والطلاق، إلى غير ذلك من المشكلات. وقد حاول هذا الكتاب أن يقدم دراسة عميقة دسمة لكل مشكلة من هذه المشكلات وكيف أجاب الرب يسوع المسيح عليها.

دار الثقافة

في هذا الكتاب — الصفحة

الفصل الأول :من هو قريبي؟ ٩

الفصل الثاني :كم مرة ينبغي أن أغفر؟ ١٧

الفصل الثالث :قل لأخي يقاسمني الميراث ٢٣

الفصل الرابع :من هو الأعظم؟ ٢٩

الفصل الخامس :هل تدفع الجزية؟ ٣٣

الفصل السادس :هل يحل طلاق الزوجة؟ ٣٩

الفصل السابع :قل لأختي أن تعينني ٤٧

الفصل الثامن :هل تطلب لهم ناراً تفنيهم؟ ٥٣

الفصل التاسع :من أخطأ؟ ٥٩

الفصل العاشر :أية وصية هي العظمى؟ ٦٥



مقدمة

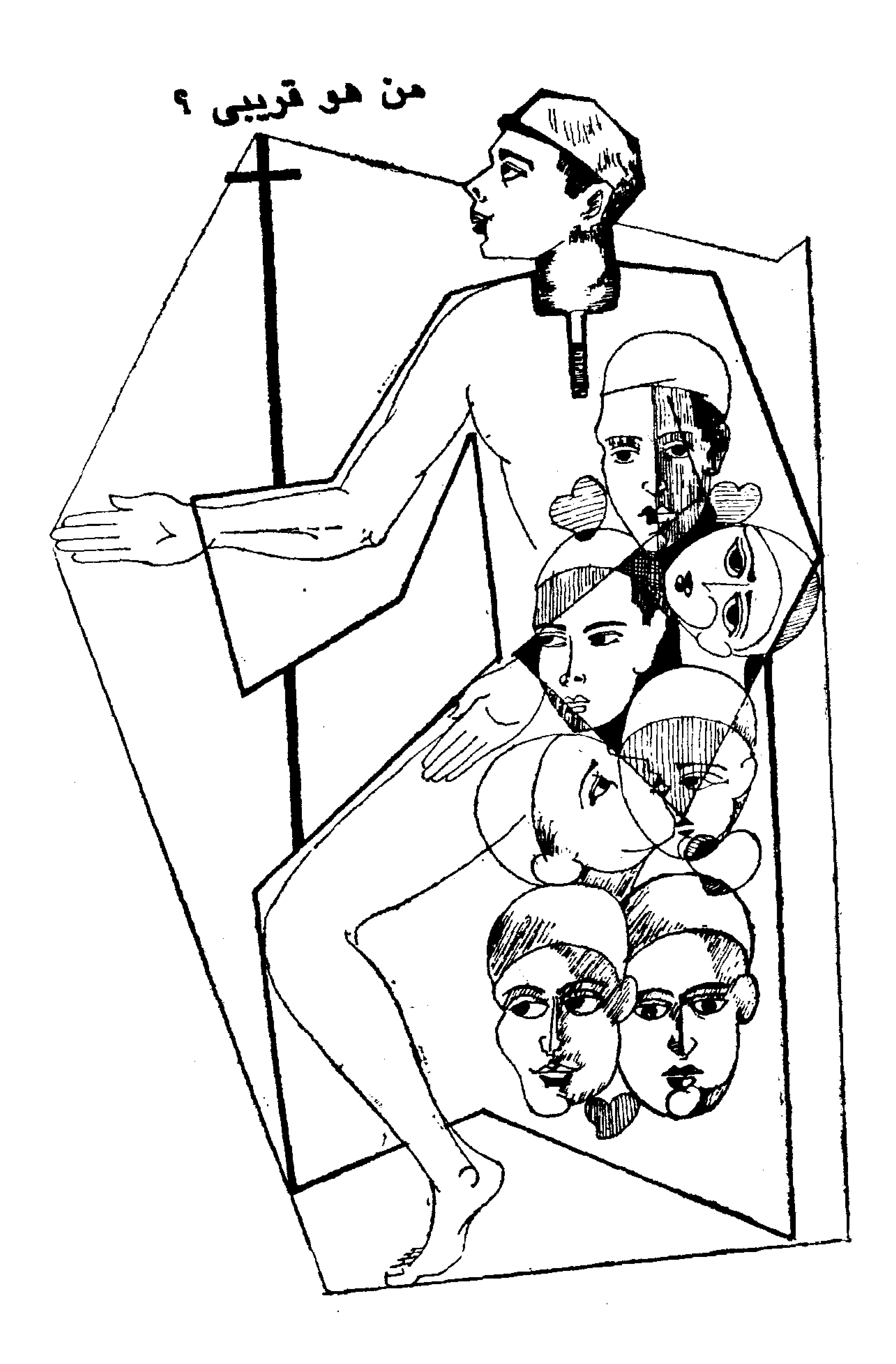
نقرأ فى الأناجيل عن كثير من الناس سألوا يسوع عن الطريقة التى بها يتعاملون مع الآخرين. فسأله أحدهم: «قل لأخى أن يقاسمنى الميراث». وسأل آخر «هل ندفع الجزية أم لا؟» وآخر «كم مرة ينبغى أن أغفر لأخى إذا استمر فى خطأه؟»

هذه الأسئلة تكشف لنا أن مشاكل الناس قديماً، هى بعينها مشاكلنا فى الوقت الحاضر. لقد أراد الناس قديما من المسيح أن يضع لهم قواعد يسيرون عليها فى معاملتهم مع الآخرين. ولكن المسيح لم يضع قواعد محددة بل ذكر لهم قصصاً وتركهم يفكرون لأنفسهم. ومنها أعلن لهم من هو الله، وملكوت الله، ثم تركهم يفكرون لأنفسهم. أما القانون الوحيد الذى وضعه أمامهم فهو قانون المحبة. إذ كان يقول لهم: «إن كنتم تحبون الذين يحبونكم فأى أجر لكم» «أحبوا أعدائكم ... أحسنوا إلى مبغضيكم ... لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات».

وسيدور محور كلامنا فى هذا الكتاب عن بعض الأسئلة التى قدمها الناس للمسيح. وبدراستها يتضح لنا قصد السائل، هل هو طلب الحق؟ أم رغبة فى اصطياد يسوع، أو إظهار حكمة السائل وفطنته أمام الناس. وسندرس كيف أجاب المسيح على هذه الأسئلة. فكم مرة اتخذ المسيح من السؤال الذى قدمه الناس لاصطياده، فرصة للتعليم والتهذيب.

فإذا أردنا أن نعيش سعداء مع من حولنا، وأن نحيا حسب مشيئة الله لندرس أجوبة المسيح عن هذه الأسئلة التى قدمت له.

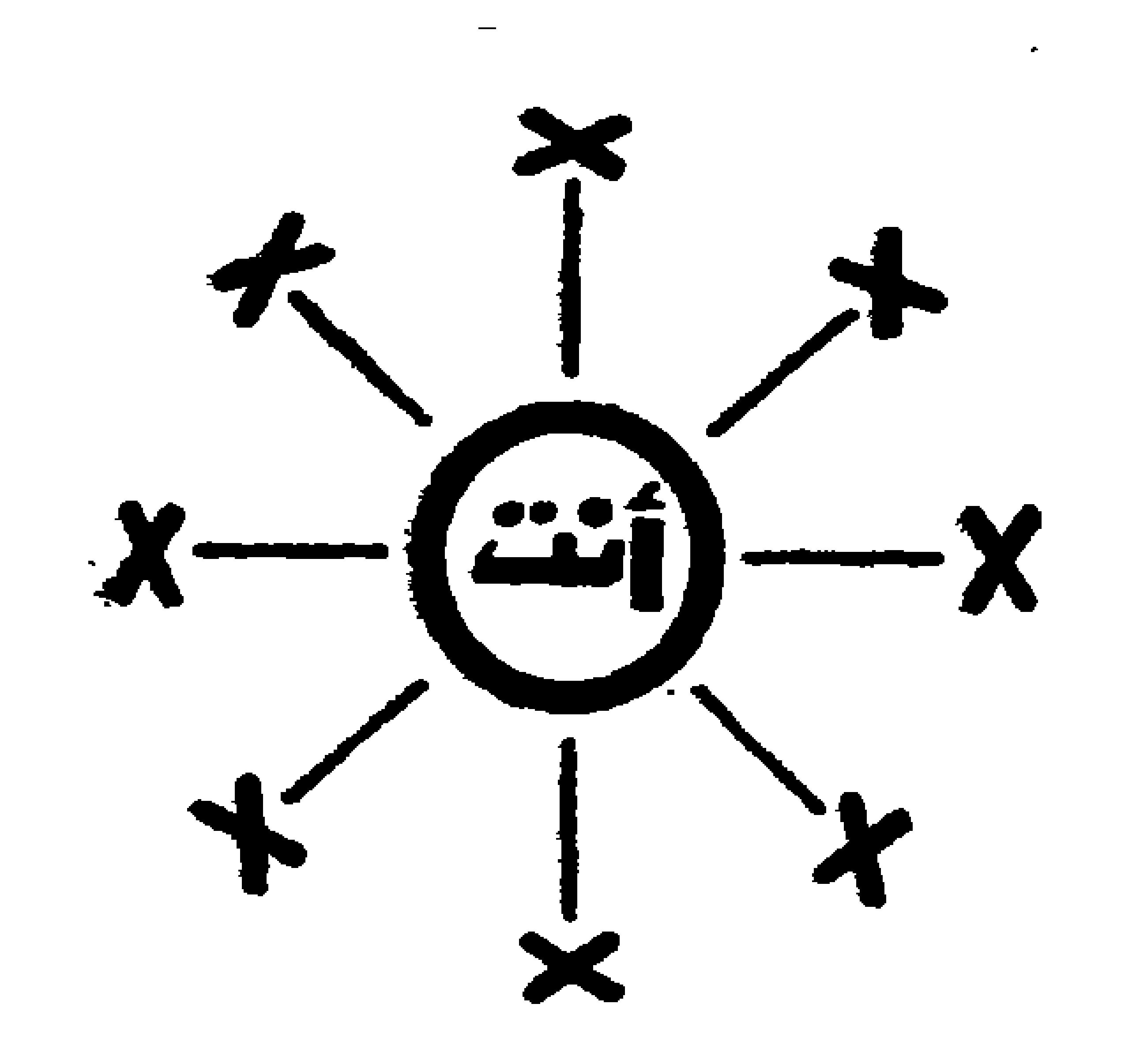
الفصل الأول



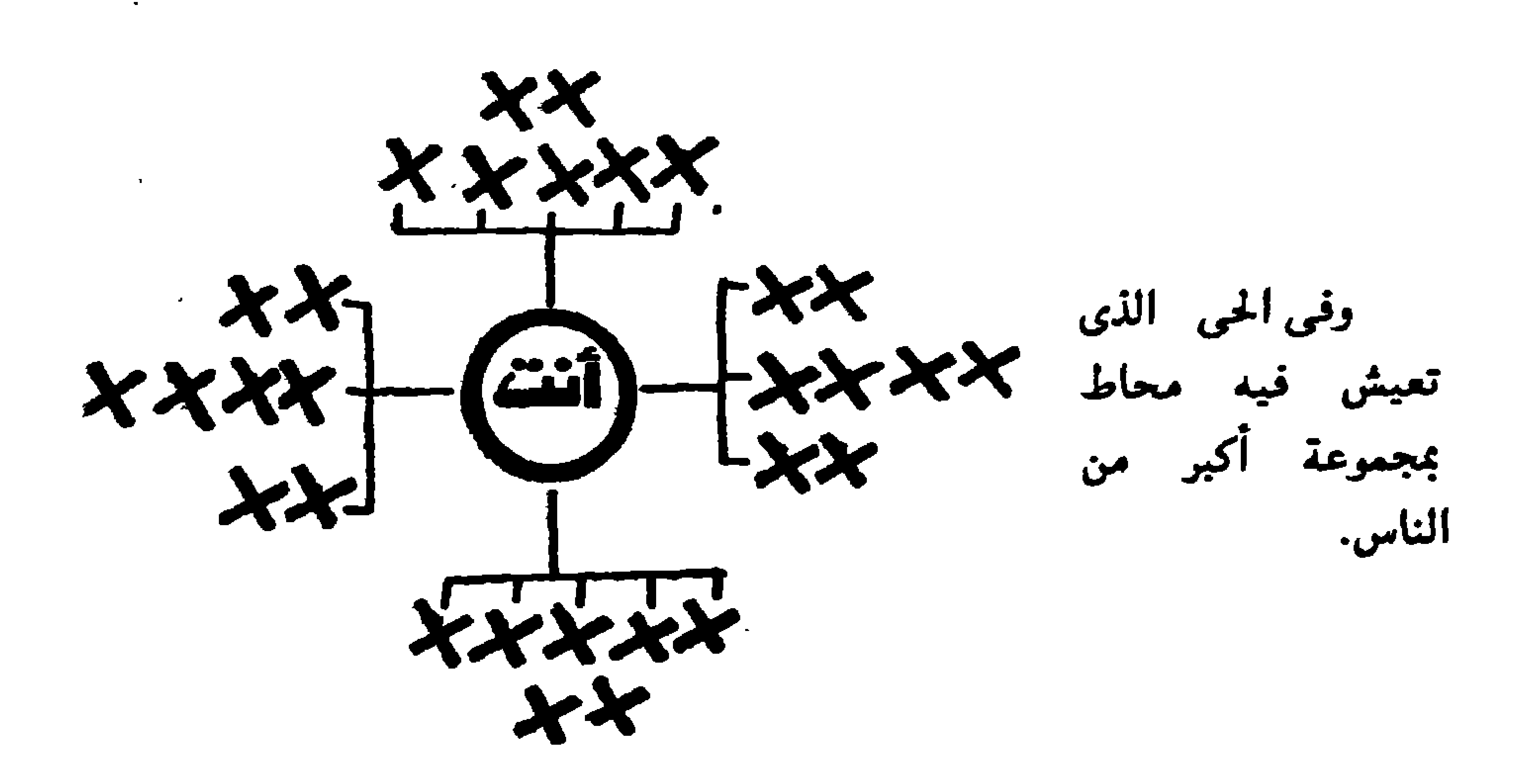
ماذا كان يعنى المسيح عندما قال «تحب قريبك؟» ومن هو قريبى؟

إننا محاطون بالناس من كل جانب. تقابل منهم كثيرين كل يوم. هل تذكر كم شخصاً طرحت عليه التحية وأنت سائر فى الشارع؟ وكم واحد تحدثت معه فى كل يوم؟ وكم واحد تعاملت معه؟. إننا نعيش مع الناس، ونعمل مع الناس، ونعيّد مع الناس.

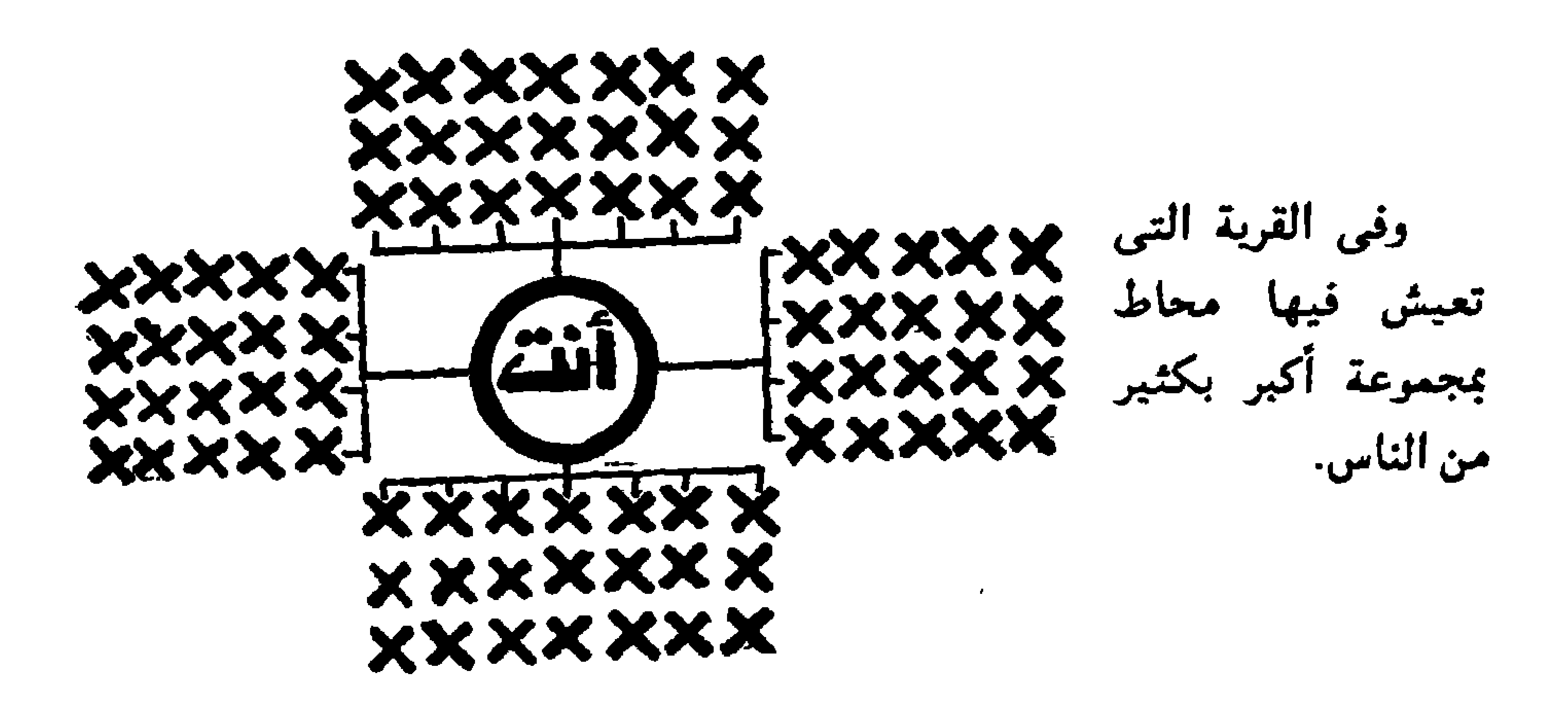
وإننا دائما محاطون بمجموعات من الناس



ففى بيتك أنت محاط بجماعة صغيرة من الناس، هم أفراد عائلتك



وفى الحى الذى تعيش فيه محاط بمجموعة أكبر من الناس.



وفى القرية التى تعيش فيها محاط بمجموعة أكبر بكثير من الناس.

إن مجموعات الناس التى تحيط بنا تزداد نمواً أكثر فأكثر.

كل شخص محاط بمجموعة خاصة من الناس. فالذين يحيطون بك يختلفون عن الذين يحيطون بك. وعليك أن تتعلم كيف تتعامل مع الناس الذين يحيطون بك. كما ينبغى أن أفعل أنا كذلك. فكل واحد يجب أن يتعلم كيف يتعامل مع الآخرين، وأشقى الناس هم الذين لا يعرفون كيف يتعاملون حسناً مع الآخرين.

عندما يولد الطفل، لا يرى فى عالمه الا شخصية واحدة، وهى أمه. فهى التى تطعمه. وتعتنى به أو تحبه. وتسعده ويسعد الطفل بها. ولكنه يكتشف بعد حين بوجود آخرين فى عالمه. فيشعر أنه لا يستطيع أن يحتفظ بأمه كل الوقت. فأخوته وأخواته يشاركونه فيها. فهى أمهم كما هى أمه. وأحياناً يشعر بالغضب لهذه المشاركة ولكن هذا هو الدرس الأول الذى يتعلمه الطفل، كيف يعيش مع الآخرين؟

وعندما يكبر الطفل يكتشف أنه يعيش مع أناس آخرين أيضاً. فلا يقدر أن يقول «أنا ابن أمى» ويقف عند هذا الحد. بل يكتشف أن له صلات أوسع

بأناس أكثر، فهو ليس ابنا لأم وكفى ولكن هناك رجلا آخر يرتبط به هو أبوه، وآخر هو شقيقه، وثالث هو جده، وحينئذ يشعر أن دائرة البيت أوسع مما كان يظن. وعندما يخرج من البيت يتقابل مع أولاد آخرين فى الشارع وفى المدرسة. فيعرف أن الحياة ليست بالبساطة التى كان يتصورها وهو صغير. عندما كان يظن أن العالم كله هو أمه فقط. هذا الاكتشاف يفرحه لأنه وجد آخرين معه، ولكنه فى نفس الوقت يشعر بالمسئولية، ويجد صعوبة فى الحياة معهم، فلا يقدر أن يعيش فى سلام مع جميع من حوله.

نجد فى الكتاب المقدس أن مشكلة التعايش السلمى بين جميع الناس، بدأت أولاً بين أولاد أبينا آدم. قال قايين «أحارس أنا لأخى» لم يكن قايين محاطاً بعدد كبير من الناس، كما نحن اليوم. لقد كان معه ثلاثة أشخاص فقط، أبوه وأمه وأخوه، ومع ذلك لم يقدر أن يعيش فى سلام معهم، فقام وقتل أخاه.

ومنذ أيام هذا القاتل الأول إلى الآن لم يقدر الناس على التعايش السلمى معاً. فترى المشاحنات تملأ البيت الواحد، والتنازع مع الأقرباء، والمعارك الدائبة مع القرى المجاورة. وأساس كل تشاحن ونزاع وحرب بين الناس هو قول قايين «أحارس أنا لأخى؟»

ولما جاء المسيح سأله الناس هذا السؤال بعينه. سأله ناموسى «ماذا أفعل لأرث الحياة الأبدية؟» أجاب المسيح: «ماذا يقول الناموس؟» أجاب «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ومن كل فكرك، وتحب قريبك كنفسك».

قال له المسيح: «بالصواب أجبت، إفعل هذا فتحيا».

فسأله الناموسى: «من هو قريبى؟» وهذا القول شبيه بما قاله قايين قديماً «أحارس أنا لأخى».

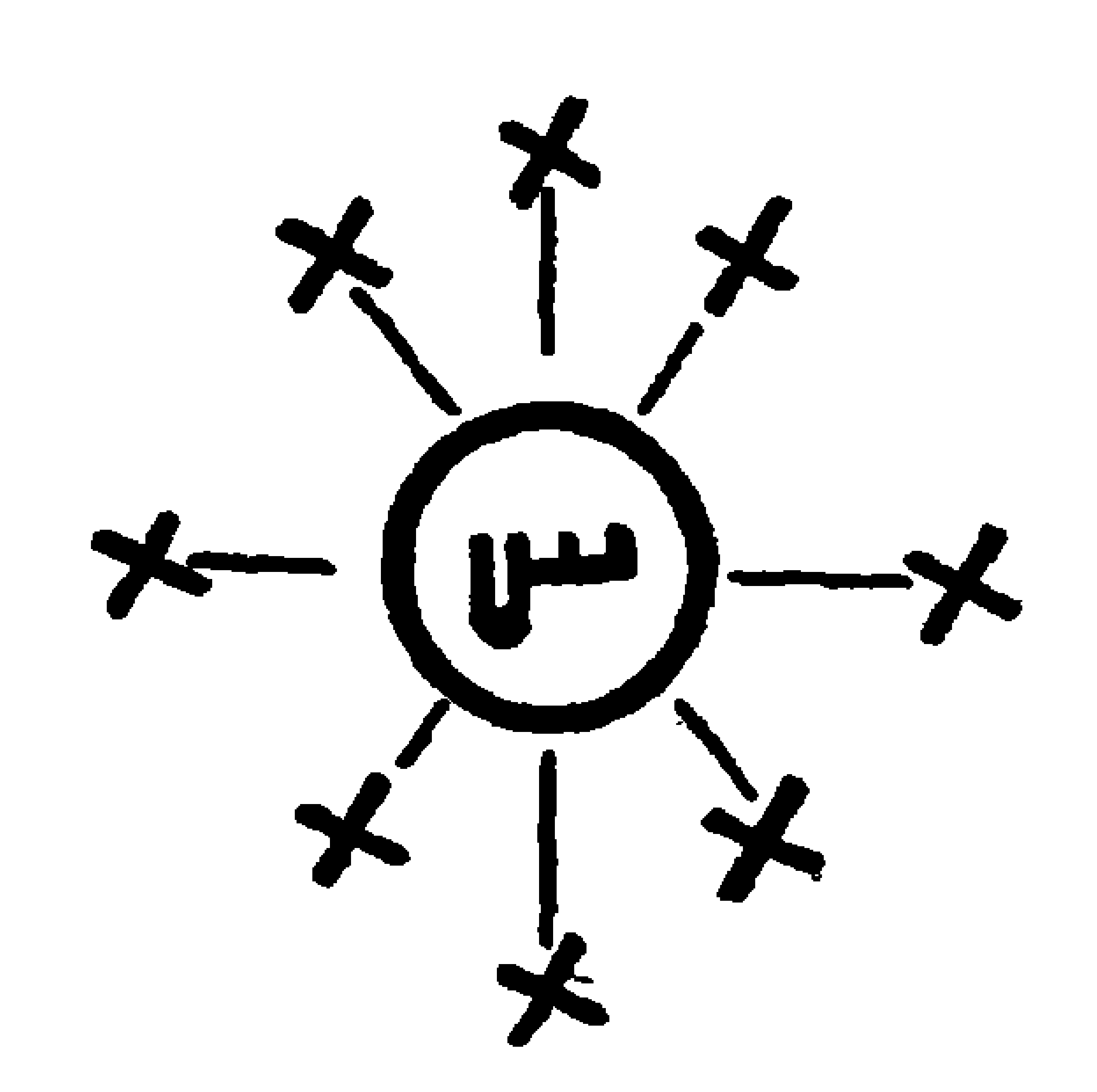
مامعنى كلمة «قريب» بحسب القانون.

هل يقصد المسيح، أن القريب هو الذى يعيش معك داخل البيت الواحد؟

أو الذين يبعدون عن بيتك بخمسين أو ستين متراً مثلا؟ إنه من الصعب جداً أن نحدد معنى كلمة «قريب» بهذه الطريقة. وكان يسوع يعرف هذه الصعوبة، فلم يحاول أن يدخل فى مناقشات قانونية ولكنه أجاب على سؤال الناموسى «من هو قريبى» بقصة السامرى الصالح.

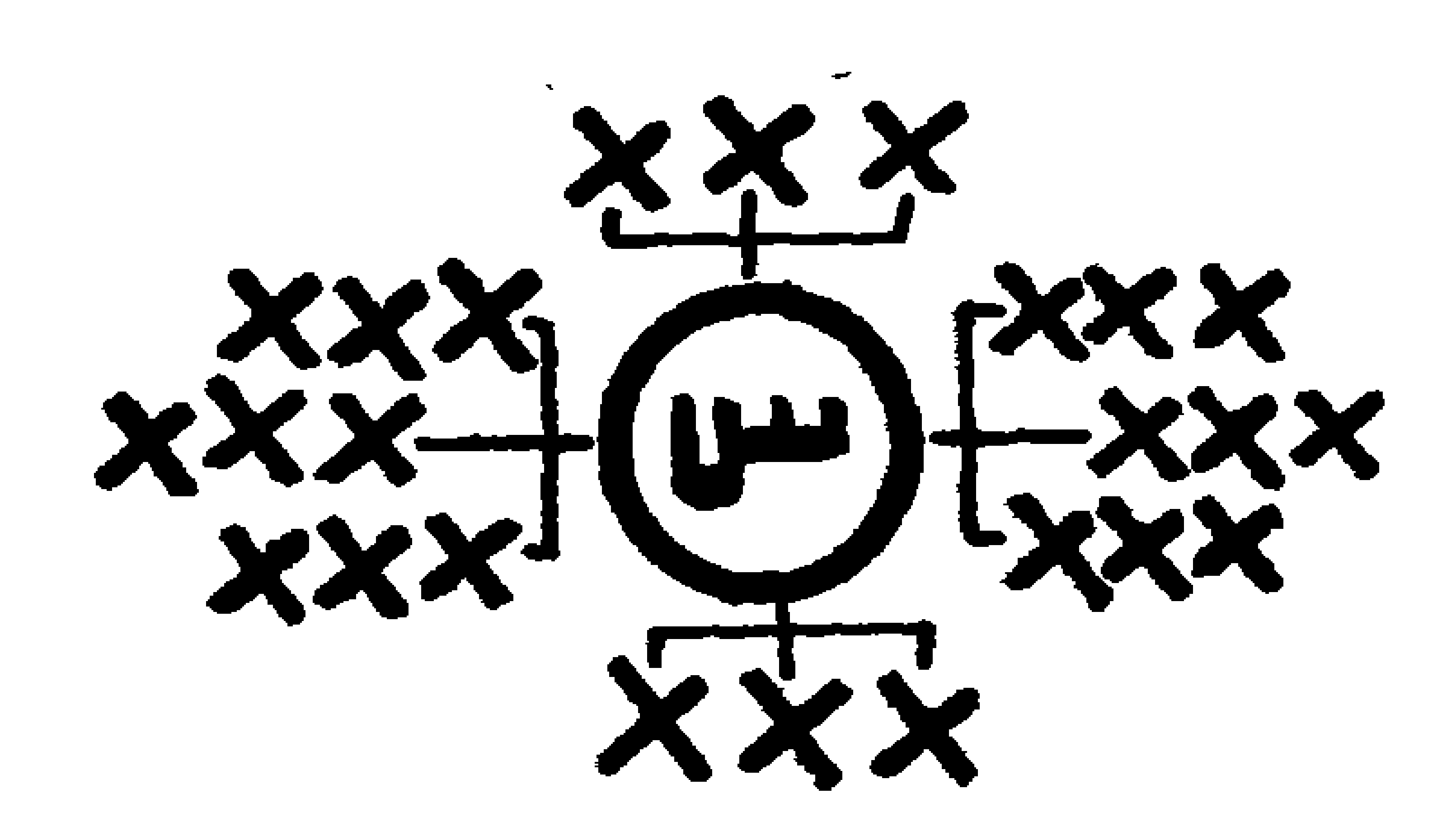
كلنا نعرف هذه القصة. كان إنسان مسافراً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بين اللصوص، فعروه ، وجرحوه، وتركوه بين حى وميت. مرَّ كاهن من هذا الطريق، ورأى هذا الرجل ولكنه تركه، وذهب بعيداً عنه. وكذلك لاوى رآه وذهب بعيداً ولكن سامرى جاء، ورأى ذلك الرجل الجريح. فتحنن عليه، ونزل من على دابته، وضمد له جروحه وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق، واعتنى به حتى الصباح. ثم أعطى صاحب الفندق دينارين وقال له: «اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك».

هذه هى الطريقة التى وضح بها المسيح معنى كلمة «قريب»، هذا هو جوابه على قول قايين «أحارس أنا لأخى».

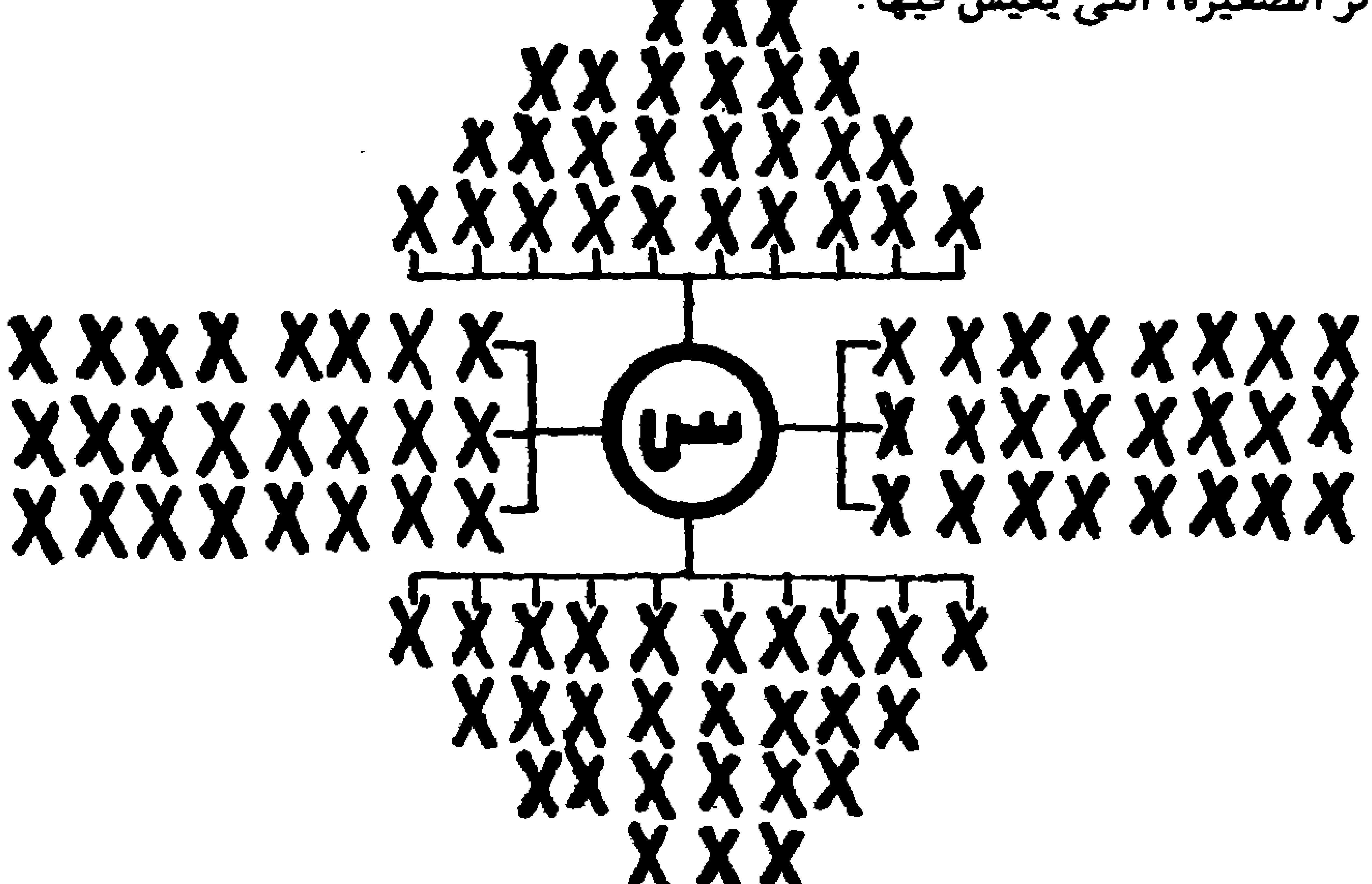


فكّر قليلا فى هذا السامرى، وما يحيط به من الناس. فهو كأى فرد منا كان محاطا بعدد قليل من الناس، هم أفراد عائلته.

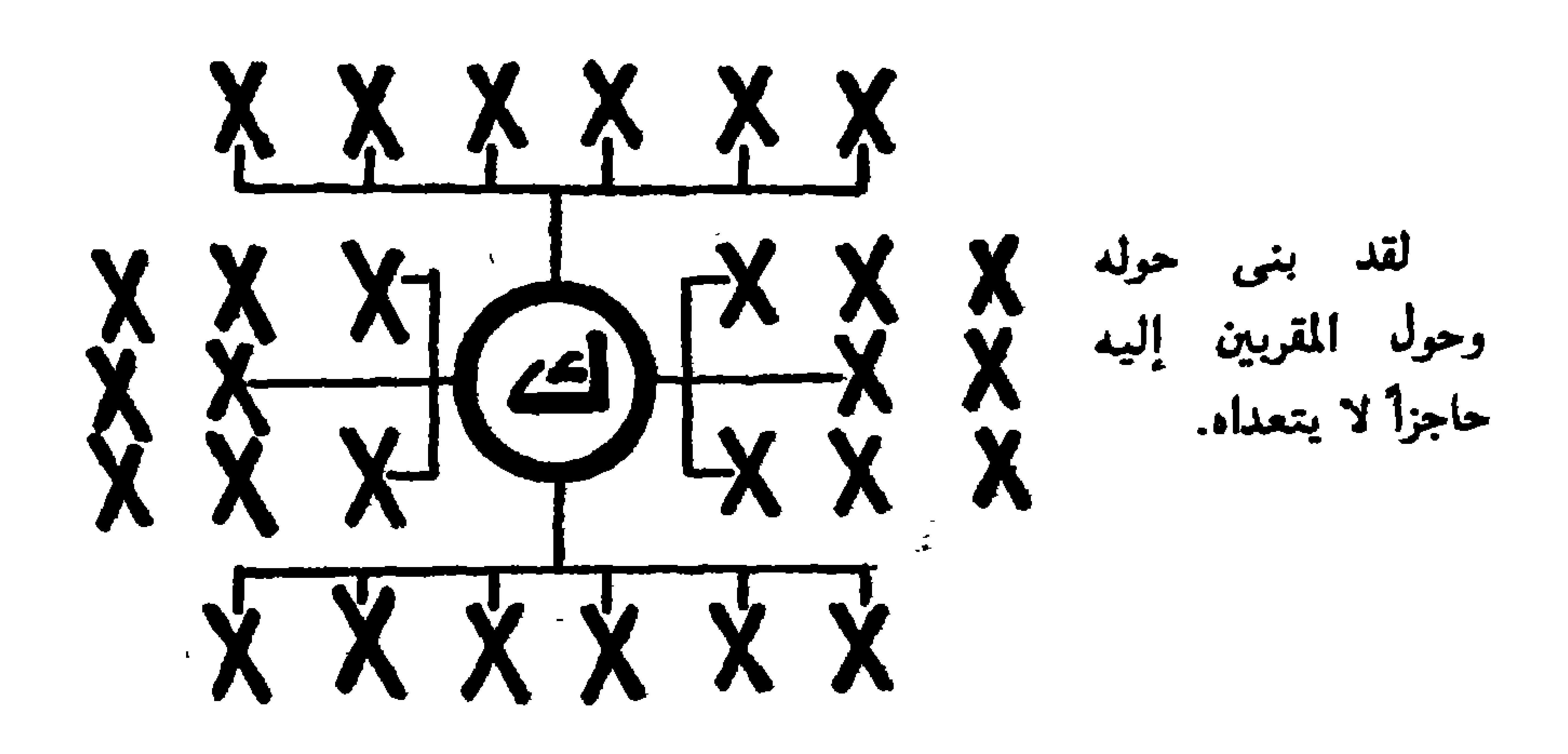
ومحاط بأقربائه



ولكن عنايته بذلك الرجل الجريح، خرجت به إلى دائرة أوسع، بعيداً عن هذه الدوائر الصغيرة، التى يعيش فيها.



الكاهن فى هذه القصة، لم يعرف كيف يحب قريبه، بالطريقة التى أحبه بها السامرى الصالح.



لقد بنى حوله وحول المقربين إليه حاجزاً لا يتعداه.

إنه لا يهتم بأى فرد بعيد عن هذا الحاجز. فلو كان هذا الرجل الجريح من أفراد عائلته، أو من داخل هذا الحاجز لتحنن عليه وتقدم لمساعدته.

اللاوى أيضاً وضع حاجزاً يحيط به هو وعائلته وأصدقائه، وكان غير مستعد لمساعدة أحد خارج هذا السور.

أما السامرى فلم يضع بينه وبين الغرباء حاجزاً. ولم يضع قيوداً تمنعه من خدمة الآخرين. لقد رأي إنساناً محتاجاً فساعده، دون أن يعرف من هو، ولا من أين جاء.

ربما كان هذا الناموسى الذى قصّ عليه المسيح هذه القصة يفكر فى وضع حاجز بينه وبين الآخرين. وعندما سأل «من هو قريبى»، كان فى حيرة أين يضع هذا الحاجز، ومن يكون داخله ومن يكون خارجه.

فكان جواب المسيح له «إفتح قلبك للجميع، لا تضع حاجزاً بينك وبين الآخرين. كل إنسان هو قريبك، وعندما ترى إنساناً محتاجاً تذكّر أنه قريبك».

ولو أجاب الناموسى وقال للمسيح «إن خدمة الآخرين معطلة ومكلفة كثيراً، لصدق فيما قال. لقد أوضح المسيح فى قصته أن المحبة مكلفة. لقد

كلفت السامرى كثيراً، ضحى بوقته، ضمد جروح الرجل مع أن هذا عمل بغيض، أركب الرجل على دابته، وسار بجواره أميالا طويلة، وأخيراً دفع مالا من جيبه لعلاج الرجل، وأظهر إستعداده بأن يدفع أكثر. إن هذه الخدمة كلفت السامرى وقتاً ومالاً. لقد كان فى إمكانه أن يتخلص من كل هذه التكاليف، لو فعل كما فعل الكاهن واللاوى، وتجاهل الرجل الجريح الملقى على الأرض.

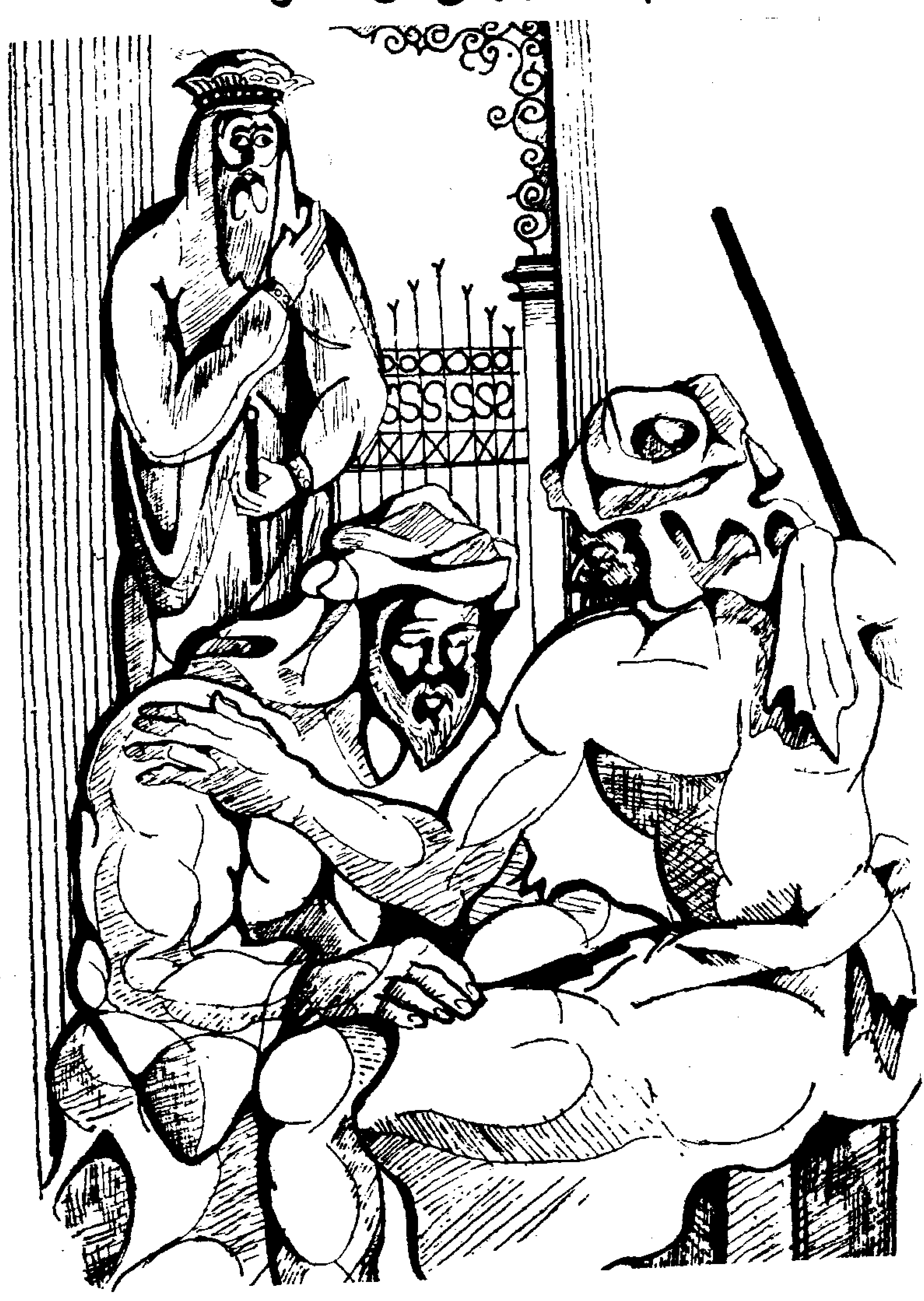
لو أعطيت لنا الفرصة أن نقيس هذه القصة لوضعنا لها نهاية تختلف كل الاختلاف عن هذه النهاية، ربما قلنا إن الرجل الجريح كان رجلا غنياً، وكافأ السامرى الصالح مكافأة سخية بعدما شفى من جراحه. ولكن هذه النهاية تفسد التعليم الذى قصده المسيح من هذه القصة.

محبة القريب ليست من الأمور السهلة. إنه أمر يكلف تعباً ووقتاً ومالا، وربما يكلف الثلاثة معاً. لقد دفع المسيح ثمناً غالياً فى محبته لأقربائه، ألا وهو الموت والصليب.

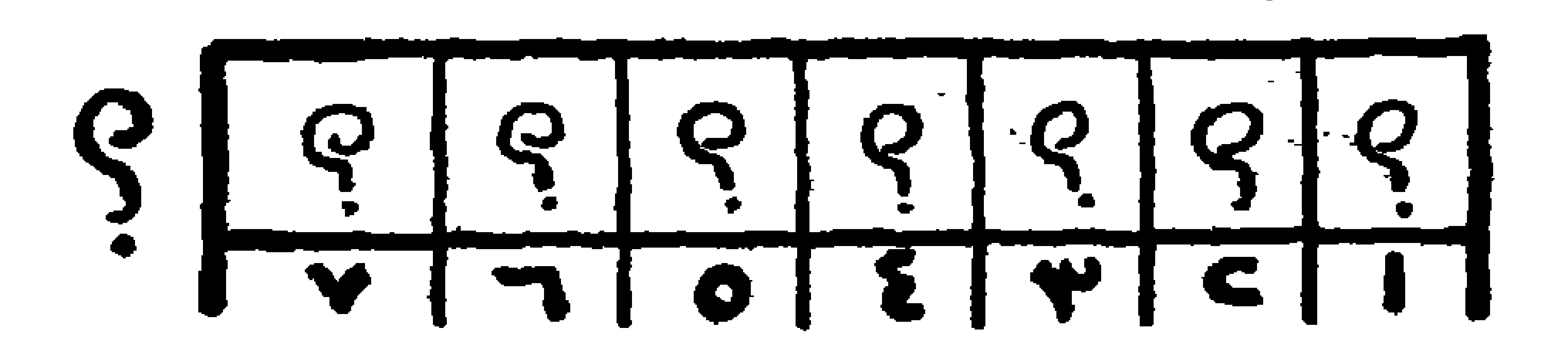
عندما يقول المسيح «اتبعنى» يجب أن نعلم أن طريق اتباعه ليس أمراً سهلا ورخيصاً.

بل أمراً مكلفاً. إنه يقول لنا «ارفع الحواجز من حول قلبك» وادفع الثمن مهما كلفك إذا أردت أن تكون قريباً لكل إنسان.

كم مرة ينبغى أن أغفر؟



سأل بطرس المسيح: «ياسيد كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟». تصور معي بطرس، وهو يسجل لأخيه أندراوس، عدد المرات التي يخطئ فيها إليه، وهو يسامحه.



ربما فكر بطرس أن المسيح سيمتدحه لأنه سامح أخاه سبع مرات. ولكن المسيح أجابه: «لا أقول سبع مرات، بل سبعين مرة سبع مرات ».ثم قص المسيح هذه القصة ليوضح بها قوله.

أراد ملك أن يحاسب عبيده. كان واحد من عبيده مديوناً له بما يقرب من أربعة ملايين من الجنيهات، وكان غير قادر على سداد هذا الدين الكبير. أمر سيده أن يباع هو وزوجته وأولاده وكل ماله لسداد الدين. فخر العبد على ركبتيه وسجد، وطلب الرحمة من سيده. فتحنن عليه، وأطلقه، وترك له الدين. ولما خرج ذلك العبد، وجد عبداً من رفقائه كان مديوناً له بما يقرب من ستة جنيهات ونصف. فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً «أوفني مالي عليك».

فتوسل إليه رفيقه وقال له «تمهل عليّ فأوفيك الجميع». ولكنه لم يرحمه، بل مضى وألقاه في السجن. فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان، أخبروا سيدهم بكل ماجرى. فغضب الملك، ودعا ذلك العبد، وقال له «أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك، لأنك طلبت إليّ. أما كان ينبغي، أنك أنت أيضاً، ترحم العبد رفيقك، كما رحمتك أنا» لذلك أمر سيده بوضعه في السجن حتى يوفي كل ماعليه.

إن المسيح دائما يربط بين غفراننا للآخرين، وغفران الله لنا- هذان الأمران

مرتبطان معاً حسب تعليمه ولا يمكن فصلهما.

غفران الله لنـــا	غفراننا للآخرين

علمنا المسيح أن نصلى «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» ويعلمنا المسيح فى هذه القصة أنه ينبغى أن نغفر للآخرين كما غفر الله لنا ذنوبنا. بالحقيقة علم أيضاً أن الله سيعاملنا بشدة إذا لم نغفر للآخرين. وبعد ما أخبرنا بالعقاب الصارم للشرير قال «هكذا أبى السماوى يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته».

ولكن هل هذه مشكلة من مشاكلنا فى الوقت الحاضر؟ هل لها صلة بمعاملاتنا مع من حولنا؟ يجب أن نعترف.

إننا عندما نصلى قائلين «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» ولكن قلما نفكر فى ماذا نصلى. فهل حقاً نقصد فى صلاتنا أن الله يغفر لنا على قدر مانغفر للآخرين فقط؟

مرة فى طريقى إلى الكنيسة، مررت على سيدة جالسة على باب منزلها. فسألتها «هل تذهبين للكنيسة؟» أجابت: «لا أقدر على الذهاب إلى الكنيسة لأنى زعلانة مع أحد أقاربى». كثير من الناس يشبهون هذه السيدة، لا يدخلون الكنيسة لأنهم فى خصام مع أحد الناس. هؤلاء الناس يدعون أنهم يسيرون على حسب قول الكتاب الذى يقول «إن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، أترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولا اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقد قربانك».

وكثيراً ما نرى أحد الأخوة يرفض الجلوس حول مائدة الرب، ولا يتناول من

العشاء الربانى، لأنه فى خصام مع أخيه. ويعتمد فى ذلك على قول بولس الرسول «ليمتحن الإنسان نفسه .. لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد الرب»

هؤلاء الناس يظنون أنهم ببعدهم عن الكنيسة وعدم تناولهم من مائدة الرب، لوجود خصام بينهم وبين أقربائهم، إنما يرضون الله إن هؤلاء الناس على خطأ فيما يدعون، ويجب أن يدرسوا الكتاب دراسة دقيقة، ليفهموا معنى الآيات التى اقتبسوها من الكتاب.

إفرض أن إبنك تصرف تصرفاً ردياً مع أحد أقاربه. ألا يلزمك أن تقول له:«إذهب واعتذر لقريبك، ولا تدخل البيت إلا بعد اعتذارك له؟» فهل تسر لو أن إبنك ترك البيت ولم يرجع أبداً؟ وهل هذا ما كنت تقصده، عندما قلت له لا تدخل البيت إلا بعد إعتذارك لقريبك؟ أظن أنك لم تقصد ذلك بكلامك، بل أردت منه أن يكون ابنك مؤدبا، حتى يستحق أن يكون عضواً فى عائلتك.

وهذا ماقصده المسيح عندما قال «اذهب ... اصطلح ... ثم تعال» لأنه لا يوجد فى بيت أبينا مكان لإنسان لا يعرف التسامح.

إن عدم التسامح خطية من الخطايا التى تجعلنا غير محبوبين من الناس، بل إنها أردأ من ذلك. إذ تحرمنا من عضوية بيت الله. وبذلك نشبه الإبن الأكبر فى قصة الإبن الضال. إن روح عدم التسامح فى الإبن الأكبر، جعلته يرفض الاشتراك مع أبيه فى الترحيب بأخيه، عند رجوعه إلى البيت، مع أن الأب خرج إليه وطلب منه أن يدخل، ويشترك مع العائلة فى فرحها. هكذا نحن عندما نرفض أن نسامح الآخرين فإننا نحرم أنفسنا من الوجود فى بيت الآب.

كان لامرأة زوجة ابن متعبة وكانت كل واحدة تعيش مع الأخرى فى منزل واحد. كانت المرأة الكبيرة تقوم بكل شغل البيت الكثير، مع أن صحتهاكانت ضعيفة. أما زوجة ابنها كانت لاتعمل شيئاً فى البيت. تصرف كل وقتها فى لبس ثيابها، ونظافة شعرها، وتقليم أظافرها. كل ما تفكر فيه هو كيف تظهر

جميلة وجذابة. وكانت تسخر من ملابس أم زوجها القذرة وهى تعمل فى شغل البيت.

كل ماتنتظره من بيت كهذا، أن يكون خالياً من السعادة، ولكنك كنت ترى عكس ماظننت - لأن المرأة الكبيرة كان لها قلب كبير، صفوح، فجعلت البيت سعيداً ومملوءاً بالسلام. فكانت تصفح عن زوجة ابنها وتقول «الفتاة مازالت صغيرة، وعندما يكبر سنها ستتعلم الرقة والعطف، لذلك سأغفر لها، كما غفر الله كل ذنوبى». وبهذه الروح زالت المرارة من البيت. وحل السلام. فكان أملها أن الزوجة الصغيرة ستتغير إلى حالة أفضل. وبذلك سعد الزوج الصغير- ونما الأولاد فى جو من السلام. وهذا ماتفعله روح التسامح فى وسط ردئ.

وفى بيت آخر عاشت زوجة مع أخت زوجها، فى خصام لمدة خمس سنوات. تخاصمت الاثنتان على شئ بسيط، واستمر هذا الخصام لمدة طويلة. فعاش البيت فى جفاف وبرودة تامة. وكانت أم الزوج بين نارين، فإذا أرضت واحدة، غضبت الأخرى. ونتج من خصامهما، خصام بين زوجيهما وتأثر الأطفال بخصام أمهاتهم. كان يمكن أن ينتهى كل هذا الشقاء لو أن واحدة منهما سامحت.

وعندما تدخل أحد الناس للصلح بينهما، وطلب من واحدة منهما أن تغفر لأختها صرخت قائلة: «أين كرامتى، لو فعلت ذلك لضحك منى الناس، وقالوا عنى بأنى جبانة لأنى غفرت أولاً». إنها ترفض الصلح خوفاً من كلام الناس لئلا يتهمونها بالجبن، مع أن الصفح هو فى الحقيقة منتهى الشجاعة والقوة، ولو خطت الخطوة الأولى فى سبيل الصلح، لبرهنت على شجاعتها، ولو كانت حكيمة لقالت لنفسها «أيهما أفضل كبريائى أم سلام بيتى؟»

أحياناً نستمر فى مشاجرة مع شخص آخر، لأننا لا نعرف كيف ننهى المشاجرة.

وكثيراً ماتصدر منا كلمات بذيئة لا نقدّر معناها، وقت شدة الغضب، ولكننا

لا نقدر أن نسترجع ماقلناه.

وكثيراً ماندبر الأذى لإنسان أضر بنا ، ونظهر عدم استعدادنا للصفح عنه.

ولكى تتعلم درس الصفح عن الآخرين- إقرأ ماقاله المسيح فى هذا الشأن- كم هو مؤسف عندما نرفض الصفح عن الآخرين. أو عندما تجعل روح عدم التسامح تفسد العلاقة بينك وبين أخيك، وبينك وبين الله. أيهما أفضل أنك تصفح عن أخيك، أو تحرم من بيت الآب؟. إنك ستدفع الثمن غالياً لو رفضت الصفح.

إنه ليس من السهل أن يغفر الإنسان لأخيه. إن الصفح معناه اننا نحمل أنفسنا فوق طاقتها ونحس أننا مظلومون، وقد رأينا ذلك فى قصة الحماة مع زوجة ابنها القاسية. ولكن قبل أن نشكو من أحمالنا الثقيلة، لنتأمل فى ما حمله المسيح من أجلنا لمغفرة خطايانا على الصليب.

إننا مرات نصلى بأن نتشبه بالمسيح أكثر فأكثر ولنجتهد أن نكون مثله فى روح التسامح للآخرين وأن نكون مستعدين لتحمل أثقال معاملة الآخرين الظالمة.

الفصل الثالث

قل لأخى يقاسمنى الميراث



فى يوم كان يتحدث المسيح لتلاميذه، ويحذرهم من الاضطهاد الذى يصيبهم نتيجة إتباعه. وأخبرهم أن اليوم سيأتى الذى فيه يقبض عليهم الرؤساء ويستجوبونهم، ولكنه طمأن قلوبهم قائلا: «ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين، فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون، أو بما تقولون، لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة مايجب أن تقولوه».

وأثناء الحديث، قام واحد من الجمع ليسأل أمراً لم يكن له علاقة بما كان يقوله يسوع. ويظهر أنه لم يكن يصغى إلى كلامه، بل كان منشغلا بمشكلة خاصة له فقال للسيد: «يامعلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث». ابتسم المسيح عندما رد عليه قائلا «ياإنسان من أقامنى عليكما قاضياً أو مقسماً» ولم يدع هذه الفرصة تضيع، دون أن يقدم درساً نافعاً لهذا الرجل وللجمع، فقال له بصراحة «أنظروا وتحفظوا من الطمع، لأنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله» وليوضح ماقال ذكر لهم هذه القصة.

إنسان غنى أخصبت كورته وأنتجت محصولا كبيراً ولم يعرف أين يخزن هذا المحصول فقال فى نفسه «أنا أعرف ماذا أعمل» أهدم مخازنى، وأبنى أعظم، وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى. وأقول لنفسى يانفسى لك خيرات كثيرة، موضوعة لسنين كثيرة، استريحى وكلى واشربى وافرحى!! فقال له الله «ياغبى هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التى أعددتها لمن تكون». ثم قال المسيح: «هكذا يكون لمن يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله».

لقد كان ذلك الرجل الذى قاطع المسيح. يشكو من مشكلة حقيقية، لقد سلبه أخوه ميراثه. وكان من الصعب فى تلك الأيام، على رجل فقير، أن يأخذ حقه بالطريقة الشرعية. ولكنه عرف صلاح يسوع، وانتظر منه المساعدة، ربما لأنه كان فى حاجة إلى المال. وعلى أي حال فقد كان يطالب بحق له.

وهذه المشكلة موجودة فى كل عصر، وفى كل أمة، وليس هناك مايسبب المشاحنات أكثر من المال فهو الذى يوجد الخصام بين الأخ وأخيه، والصديق وصديقه، والزوج وزوجته، وأحياناً يفرق بين أحب الأصدقاء.

كلنا نشارك هذا الرجل فى ألمه بسبب ضياع ميراثه فكل واحد يحب أن يأخذ نصيبه من ميراثه. وانتظر من يسوع أن يعاونه. لقد عاون كثيرين من العميان، والعرج، والمرضى. فلماذا لا يعمل شيئاً لهذا الرجل ويرد له ميراثه المسلوب، ويحكم بالعدل بينه وبين أخيه؟

لنبحث هذه المشكلة من ناحية رأى المسيح فيها. لاحظ المسيح أن الرجل ليست له مشكلة واحدة بل عدة مشاكل. فهو يحتاج إلى مال، وإلى عدالة، وإلى الصلح مع أخيه. وربما رأى المسيح مشاكل أكثر من ذلك. لقد عاش المسيح كل حياته على الأرض بين الفقراء. عرف قيمة المال بالنسبة لهم، وأن سلب الميراث ليس بالأمر الهين. لم يكن المال رخيصاً الا عند الناس المسرفين الذين يقولون «المال لا قيمة له» فلو تخيلنا أن المسيح ترك هذا الرجل ولم يساعده، فإننا نعتبره قد قصر فى حل مشكلة كهذه، مألوفة ومنتشرة بين جميع الناس.

إذن لماذا لم ينظر المسيح إلى مشكلة الرجل بعين الاعتبار؟ هل لم يسر بمقاطعته له أثناء حديثه؟ كلا- كلنا نعرف أن المسيح لم يشك مرة واحدة من مقاطعة أحد له. فكم من مرة وقف فى الطريق ليبارك الأطفال، أو ليشفى امرأة مريضة، أو ليرى زكا فوق الشجرة، كلا إن يسوع لم يكن منضايقاً من مقاطعة الرجل له وكان يمكن لو أراد أن يأخذ بيد الرجل، ويقول له «تعال معى لنأخذ أخاك، ونذهب إلى القاضى، وستأخذ حقك كاملا» لكنه لم يفعل هذا فلماذا؟ وماالذى فعله بدلا من ذلك؟

لقد كان المسيح طبيباً ماهراً. كان عندما يرى مريضاً فإنه يكتشف فيه أكثر من المظاهر والأعراض الخارجية. يرى المرض الحقيقى داخله. لذلك أراد أن يعالج المرض الدفين في هذا الرجل ولم يتوقف إلى حد معالجة المظاهر فقط. فإذا ما اكتشف الطبيب مرضاً خبيثاً فى أحد المرضى كمرض السل مثلا، فإنه لا يكتفى بإعطائه شراب الكحة، إنما يعطيه علاجاً كاملا لمعالجة الداء من أساسه. اكتشف المسيح أن هذا الرجل مصاب بمرض روحى، ربما يتسبب في موته الروحى، وهذا

الداء هو الطمع.

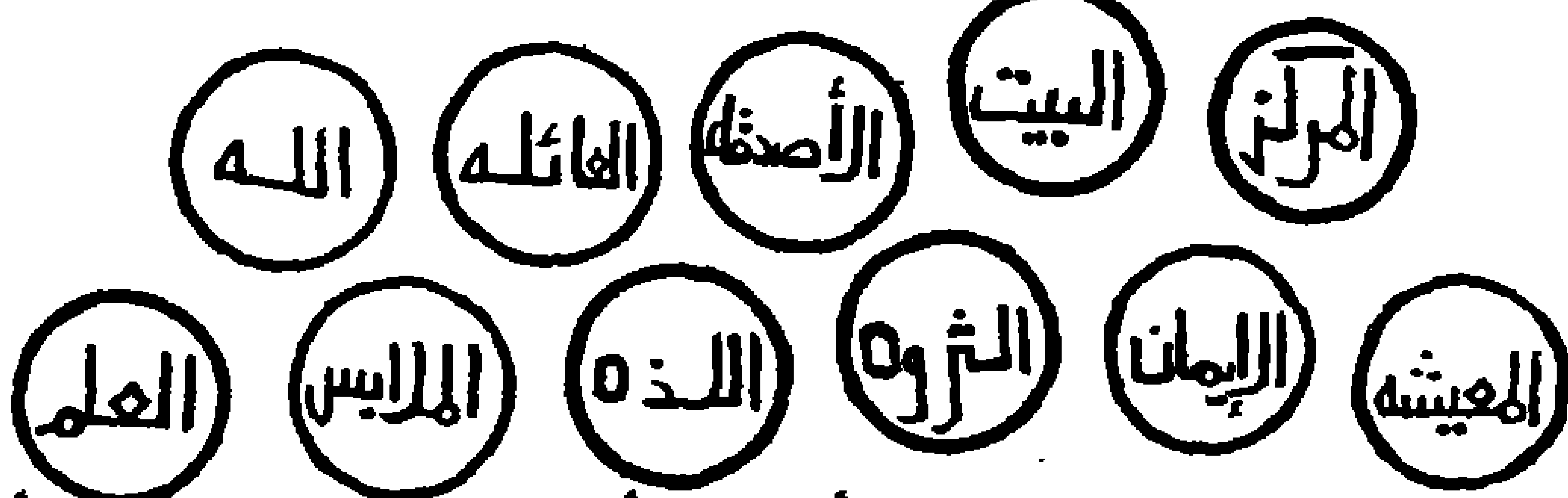
لذلك حاول علاجه من هذا الداء. فقص قصة الزجل الغنى الغبى، لتكون كمرآة أمام الرجل ليرى فيها نفسه. وربما سببت له هذه القصة رعباً. وهذا ماقصده المسيح، لكى يرجعه إلى صوابه. وكأن المسيح يقول له «إنك ستموت يوماً ما، ولمن يكون هذا الميراث الذى تشغل نفسك به؟»

وحيثما تكلم المسيح عن الثروة، أو الناس الأغنياء، كان يحذر ضد تجربة محبة المال. فالأغنياء ينشغلون دائما فى جمع المال، فلا يجدون فرصة لهم للتفكير فى الأمور الروحية. لذلك قال المسيح عنهم «ماأعسر دخول الأغنياء إلى ملكوت السموات» لأنه ليس لهم وقت للتفكير فى الله، أو فى ملكوت الله. كل تفكيرهم فى المال وجمع المال.

كلنا فى خطر فقدان الميراث السماوى، إذا كنا نسعى وراء الغنى المادى، وإلا فماذا يقصد المسيح عندما قال «هكذا من يكنز لنفسه، وليس غنيا لله»؟

ثم بدأ يوجه نظر تلاميذه إلى عدم الإهتمام بالأكل والشرب واللبس. وعلمهم أن قلقهم هذا يظهر عدم ثقتهم فى أبيهم السماوى. فهو يعتنى بطيور السماد وزنابق الحقل. فهل ليس لكم إيمان إنه يعتنى بكم كما يعتنى بهم؟ هل أنتم فقراء فى الإيمان؟ إن الفقر الذى نخشاه حقيقة هو فقرنا فى الإيمان.

إفرض أن كل الأشياء الثمينة فى الحياة طرحت أمامك كهذه.



فكيف ترتبها لتختار ما هو أفضل وأثمن. هل تضع الثروة أولا؟ ولكن! عندما نراجع أنفسنا، تعرف أنه توجد أمور كثيرة أثمن من المال. إننا لا ننكر أن المال شئ ثمين، ولكنه ليس أثمن شئ فى الحياة. توجد أشياء لا يستطيع

المال أن يشتريها، كمحبة الاب لابنه، وثقة الطفل فى أبيه والسمعة الطيبة والدفء فى حرارة الشمس، والصحة الجيدة. ولكن إذا أصيب الإنسان بداء الطمع فإنه يفقد التقييم الصحيح للأشياء. فإنه يضحى بكل هذه الأشياء الغالية مقابل المال. إنه مرض خبيث، ينمو تدريجياً داخل الإنسان حتى يهلك حياته.

ليس المال فى حد ذاته هو الذى يفعل هذا. لأن المال ليس شراً فى ذاته. فكم من أغنياء صالحين يستخدمون مالهم فى أعمال صالحة. ولكن محبة المال هى أصل لكل الشرور. وأن الطمع يقود الإنسان إلى التفكير فى أن المال هو مفتاح السعادة.

هذه هى المشكلة الحقيقية لذلك الرجل، الذى جاء للمسيح يسأل عن الميراث. عرف المسيح حقيقة نفسه، وقال له «راجع فكرك، ورتب الأشياء الثمينة من جديد. لا تنشغل بالمال ولكن فكر جدياً فى الحياة الأبدية فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله».



من هو الأعظم ؟



إذا سألك إنسان «من هو أعظم رجل عرفته فى حياتك» بماذا تجيب؟ ربما يتجه تفكيرك حالا إلى رجل قوى، والرجل القوى هو الرجل الغنى لأن القوة والمال يسيران جنباً الى جنب. ونظن أنه متى توفر لدينا المال والقوة، صرنا من أعاظم الرجال.

كان هذا بعينه ما جال فى أفكار تلاميذ المسيح. فظنوا أن المسيح قوى لأنه يتكلم عن الملكوت. واتجهت عقولهم حالا إلى من سيكون الثانى فى الملكوت بعد يسوع، وهذا بالطبع تفكير السياسيين ورجال كل دولة، من هو الشخص الذى سيخلف رئيسهم الحالى، وقد كان أيضاً تفكير التلاميذ بالنسبة ليسوع من الذى سيجلس عن يمينه ويكون له النفوذ الأعظم فى هذا الملكوت.

لنلاحظ كيف قابل المسيح هذا السؤال. كان يحق له أن يغضب، لأن تلاميذه أظهروا فى مشاجرتهم أنهم لم يفهموا معنى الملكوت، ومقياس المسيح للعظمة. لقد استمروا فى جهلهم هذا حتى العشاء الأخير- ولكن بدلا من سخطه عليهم أعاد عليهم المرة تلو المرة نفس الدرس الذى علمه لهم سابقاً «من أراد أن يكون فيكم عظيماً ليكن لكم كخادم أو كطفل صغير».

لم يغضب المسيح من بلادة تلاميذه، وكنا ننتظر أنه يتوقف عن تعليمهم، ويقول «إن هذا هو الضعف البشرى، وإن جميعهم يجرون وراء القوة، فلا فائدة من العمل على غير طبيعتهم» وهذا بعينه يمكن أن نقوله نحن «هذا هو طريق العالم كله. وهذه طبيعة البشر، لا نستطيع أن نغيرها .. ولكن المسيح حاول أن يعلمهم هذا الدرس مراراً وتكراراً، عن طريق القصص والتمثيليات، وبقدوة حياته التى عاشها على الأرض.

دعنا نتأمل الطرق الكثيرة التى استخدمها يسوع لتعليم الناس: إن طريق العظمة هو التواضع.

أخذ ولداً وأوقفه أمام تلاميذه وقال لهم «إن لم تتغيروا وتصيروا مثل هذا الولد فلن تدخلوا ملكوت السموات» وبمعنى آخر يجب أن تفكر فى دخولك

الملكوت قبل أن تفكر فى أن تجلس عن يمين الملك أو يساره.

وقال المسيح فى مكان آخر « ملوك الأمم يسودونهم .. فلا يكون هكذا بينكم ... فالكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدم للخادم»

لم يحبذ المسيح الألقاب الرنانة ولا المتكأ الأول فقد قال «إن الكتبة والفريسيين يحبون المتكأ الأول فى الولائم، والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدى. وأما أنتم فلا تدعوا سيدى أو معلمى أو أبى».

قال يسوع «إذا مادعيت إلى عرس .. فلا تتكئ فى المتكأ الأول، لعل أكرم منك قد دعى منه. فيأتى الذى دعاك وإياه ويقول اعط مكانا لهذا .. بل متى دعيت فاذهب واتكئ فى الموضع الأخير، حتى إذا جاء الذى دعاك، يقول لك ياصديق ارتفع إلى فوق». لا شك أن المسيح كان يسخر من أولئك الذين يسعون وراء المجالس الأولى.

إن قصة السامرى الصالح، هى قصة أخرى تظهر لنا أن العظمة فى *التواضع.*

كانت كبرياء الكاهن واللاوى عظيمة لدرجة أنهما لم ينظرا الرجل الجريح. أما السامرى المحتقر وقف وأظهر عطفه ومحبته العاملة للجريح.

وإن قصة الإبن الضال، هى قصة أخرى تظهر عظمة التواضع. تصور لنا محبة الله للضالين. تعلن لنا عن هذا الأب المحب المتواضع، عندما ركض لملاقاة إبنه وهو بعد فى الطريق عند رجوعه إلى البيت، وأيضاً عندما خرج لملاقاة الإبن الأكبر العنيد. يرجوه ليدخل البيت- هذا هو وصف المسيح للعظمة الحقيقية.

وأراد المسيح فى العشاء الأخير، أن يعلم تلاميذه نفس هذا الدرس، عندما أخذ منشفة وإتزر بها وغسل أرجل تلاميذه، قائلا لهم «إن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض».

أظهر المسيح فى حياته على الأرض، من المذود إلى الصليب، عظمة التواضع. إنه جاء لا ليخدم بل ليخدم. لم يسع وراء المراكز أو الألقاب أو السلطة. لم يأخذ شيئاً من هذا بل كرس حياته لمساعدة البؤساء الذين عاش فى وسطهم. إن ذاك الذى يخضع لسلطانه كل قوات السما، أخلى نفسه وسمح لقوات الظلمة بأن تعلقه على الصليب كمجرم حقير فما أعظم تواضعه؟

إن مسيحنا أعظم الكل: ممن فى السماء والأرض «إذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم» (فيلبى ٢: ٨ و ٩)

ولكن هل يريد المسيح منا أن لا نسعى وراء العظمة؟ كلا- هو يريدنا أن نتعلم معنى العظمة الحقيقية. يريدنا أن لا نخلط بين العظمة الحقيقية وبين العظمة الزائفة عن طريق القوة والثروة.

إن أفكارنا عن العظمة تدل على عدم نضوجنا. فإذا ماسألت ولد صغير «ماذا تريد أن تكون عندما تكبر؟» ربما يقول «أريد أن أكون مهندساً وأسوق قطاراً عظيما» هذه هى فكرته عن العظمة. ولكنه عندما يكبر قد يرفض هذه الفكرة.

ولذا يدعونا المسيح أن ننمو روحياً، وأن نرتفع بأفكارنا إلى مستوى عالى، فلا نتعلم أفكار البشر عن العظمة، فهى ناقصة بل نستمع للمسيح الذى يقول «تعلموا منى. راقبوا أعمالى، تمثلوا بحياتى، وبذلك تتعلموا معنى العظمة الحقيقية».

ولقد تعلم التلاميذ هذا الدرس، بعد حلول الروح القدس فى قلوبهم. فبدلا من التشاحن عمن سيكون الأول فى ملكوته .. نراهم ينتشرون في كل الأرض يكرزون ويعلمون ويضحون بحياتهم من أجله.

ونستطيع نحن أن نصل إلى العظمة الحقيقية لو أسلمنا أنفسنا كما أسلموا أنفسهم وأسلم المسيح نفسه.

هل تدفع الجزية ؟



إن المناسبة التى قيل فيها هذا السؤال نراها مسجلة فى الأناجيل الثلاثة: متى ومرقس ولوقا. وواضح أن الفريسيين حاولوا به تجربة يسوع واصطياده فيظهر عدم ولائه للحكومة الرومانية.

بدأ الرجال الذين أرسلوهم له حديثهم متملقين إياه قائلين «يامعلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس». وكأنهم بهذا يقولون «يامعلم نعرف كثيرين من المعلمين، يخافون من قول الحق، لخوفهم من الرؤساء، أما أنت فلا تخاف أحداً». ثم همسوا له فى أذنه قائلين «قل لنا رأيك الخاص. أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا».

وفى تلك الأيام كانت فلسطين مليئة باليهود الغيورين الذين كانوا يتآمرون على الحكومة الرومانية، لتسلطهم على الأمة اليهودية بالقوة لذلك كان اليهود يحتقرون تلك الدولة المستعمرة. وكان كل يهودى محب لوطنه يتمنى أن يرى اليوم الذى فيه يخرج المستعمر من بلاده. ولقد أحس الرومان بهذا الشعور، وكانوا يفتحون أعينهم على كل إشارة تدل على ثورة. وإذا أراد يهودى الضرر لأخيه، إتهمه بتهمة التآمر على الحكومة الرومانية. لذلك فكر أعداء المسيح أن يصطادوه بكلمة، فيشتكونه للحكومة الرومانية، فإذا قال لا يجوز أن تعطى الجزية لقيصر، قبضوا عليه واتهموه بالخيانة لقيصر.

ولكن لم يكن من السهل سقوط المسيح فى هذه المكيدة. عرف المسيح خبثهم، وبدلاً من رفضه الجواب على سؤالهم، إنتهز هذه الفرصة وألقى عليهم درساً نافعاً. فطلب أن يرى معاملة الجزية. فقدموا له ديناراً. فسألهم «لمن هذه الصورة والكتابة؟» فأجابوا: «لقيصر»، فقال لهم «أعطوا إذاً مالقيصر لقيصر وما لله لله؟ فصمتوا وتركوه ومضوا.

ماذا يعنى لنا نحن فى هذه الأيام؟ وبالأخص لنا نحن، الذين عشنا فى دول كانت مستعبدة لعهد قريب، لدولة أجنبية. كان اليهود فى أيام المسيح مجبرين على دفع الجزية كضريبة لروما، إعترافاً منهم بخضوعهم لها. وهل هذا يعنى أنه إذا كانت أمتنا حرة لا تلتزم بدفع الجزية؟

بعض الناس لديهم فكرة خاطئة عن معنى الحرية. يظنون أن الحرية تعنى أن كل فرد يستطيع أن يفعل مايشاء ومايريد. ويقولون إنه لا يوجد أحد يجبر بالقوة على أن يفعل شيئا لا يريده. ولكننا نعرف أنه لا توجد حرية كاملة لأى فرد عندما يريد كل إنسان أن يفعل مايشاء. فلكى نعيش معاً سعداء ينبغى أن نخضع لبعض القوانين. وهذا يعنى أنه يجب أن يوجد فى العالم قانون، وتوجد سلطة عليا لتنفيذ القانون. وأنه يجب أن تكون فيه محاكم يلتجئ اليها كل متظلم يطلب العدالة. وهذا يعنى أنه يجب أن تكون حكومة وأنظمة لحفظ الأمن فى البلاد، ليأخذ كل واحد حقه كاملا.

فإذا لم توجد كل هذه التنظيمات فليس هناك حرية فنرى القوى يأكل الضعيف، والغنى يسلب الفقير، إختلال الأمن فى الطرق المعدة للسفر. تسلب المحصولات والحقول، وتتعرض البيوت للسرقة والنهب فى أى وقت. لا يعتبر مثل هذا نوع من الحرية بل خلل فى النظام.

وأكثر من ذلك: بدأ الناس يعتقدون، أن من حق كل ولد أن يأخذ حقه من التعليم . وهذه هى المسئولية الموضوعة على حكومة البلاد. وليس ذلك فقط بل عليها أن تقوم بانشاء المستشفيات لعلاج المرضى. وأخيراً بدأنا نفكر فى مطالبة الحكومة بالعناية بالعجزة والفقراء وكبار السن، كل هذه الخدمات تحتاج إلى حكومة تمولها وتنظمها.

ولكننا قد ننسى كل هذه الخدمات التى تقوم بها الحكومات، ونتجاهل الأعمال الطيبة، التى تؤديها للشعب. بل قد يظن الكثيرون أن هذه الخدمات كالمدارس والمستشفيات ومحاكم العدل وغيرها ما هى إلا هدية نزلت من السماء على الناس وقت الخلق. ولذا نراهم يتذمرون على دفع الضرائب للحكومة.

ولكن الحكومة لا تقدر أن تقوم بخدماتها للشعب بدون ضرائب. فالحكومة تشبه الآلة البخارية، فكما أن الآلة البخارية لا تسير بدون وقود، كذلك الحكومات تحتاج دائماً إلى المال لتنفيذ مشروعاتها لخير الشعب. فإذا أرادت حكومة أن تضمن لك الحياة الآمنة السعيدة، يلزمك أن تدفع لها مايساعدها

على تنظيم أمورها. قال يسوع «أعطى مالقيصر لقيصر». وبهذه الكلمة يشير المسيح بأن كل فرد ملزم أن يدفع لحكومته الضريبة المقررة عليه، لكى تتمكن هذه الحكومة من العمل على رفاهية وأمن شعبها.

فالمسيحى كمواطن صالح، لا يبحث دائماً عن ماذا تستطيع بلده أن تفعل لأجله، بل يبحث عن ماذا يقدر أن يفعل من أجل بلده. ويسأل عن مقدار المسئولية الملقاة عليه من نحو بلده.

أولا: يجب أن يكون مخلصاً لبلده. فالمصرى مثلاً يجب أن يفتخر بتاريخ بلده القديم، وبتطوره ونموه ونجاحه فى العصر الحاضر. وعليه أن يعرف كل ما يمكن معرفته من تاريخه ومكانته فى العالم اليوم.

ثانياً: يعاون المواطن الصالح بكل طريقة ممكنة للعمل على خير بلده وهذا يعنى أن يدفع الضرائب ويضحى بوقته. ويعاون فى خدمة المحتاجين.

ثالثاً: يجب على المواطن الصالح، أن يكون مستعداً للدفاع عن وطنه، وذلك بالدفاع عنها ضد كل الانتقادات التى توجه لها. وكذا ضد كل جيش معتدى فى وقت الحرب.

لقد ربط المسيح هاتين المسئوليتين على كل مواطن مسيحى.

أعطى ما لقيصر لقيصر	وما للــــه للــــه

فالمسيحى قبل كل شئ مواطن من الرعية السماوية. ولكنه بالطبيعة مواطن صالح لأمته.

هذه هى الحقيقة لأن صفات المسيحى هى أيضاً صفات المواطن الصالح إنه أمين ومخلص ومتواضع وعطوف وكريم. يعمل دائماً لخدمة الآخرين. كل لهذه الصفات لو كانت فى المواطن المسيحى لأصبح مواطناً مثالياً.

المسيحى مواطن صالح أيضاً لأنه ينبغى أن يكون قدوة حسنة للآخرين فهو يبتعد عن كل شر وشبه شر فيقول مع بولس «ان كان اللحم يعثر أخى فلا آكله». وبالرغم من أنه كأى شخص يشعر بأن له الحرية الكاملة أن يفعل ولكن حكمته كمسيحى تجلعه يستخدم حريته لخدمة الآخرين. ويجتهد بكل طريقة ممكنة أن يعيش فى سلام مع جميع الناس.

ومع أن المسيحى يرغب فى أن يترك حقه فى سبيل أن يعيش فى سلام ، ولكنه غيور على حفظ حقوق الآخرين. إنه لا يسكت عندما يرى قريبه مظلوماً. إنه يبحث عن العدالة لليتامى والأرامل ولكل من يستطيع الدفاع عن نفسه. لقد تقدم العالم كثيراً بالنسبة لغيرة المسيحيين، لأنهم لم يرضوا بحياة الظلم لأقربائهم إن ضمير المواطن المسيحى الذى أنهى بيع العبيد. وفى أماكن كثيرة كان المسيحيون هم أول من أسس المدارس والمستشفيات والملاجئ.

وأخيراً ما هو الدين الذى نشعر به نحو الله؟ قال المسيح ينبغى أن نعطى مالله لله، كما ما لقيصر لقيصر. عندما تكلم بولس الرسول عن سخاء أهل مكدونية (٢كو ٨: ٥) قال «أعطوا أنفسهم أولا للرب». هذا هو الواجب الأول للمسيحى، بأن نعطى أنفسنا للرب، أجسادنا «التى هى ذبيحة مقدسة مرضية عند الله عبادتنا العقلية».

وبعد ذلك تفيض عشورنا وتقدماتنا فيضاً طبيعياً كثمر لمحبتنا لله.

الفصل السادس

هل يحل طلاق الزوجة ؟



سأل الفريسيون المسيح هذا السؤال ، على أمل أن يصطادوه. وقد رأينا فى الفصل السابق كيف حاولوا أن يصطادوه بكلمة، ليظهروا عدم ولائه للأمة الرومانية. ولكن فى هذه المرة حاولوا أن يصطادوه بكلمة ضد الناموس اليهودى. فسألوه «هل يحل للرجل أن يطلق امرأته»

لم يلتفت المسيح إلى إشارتهم للناموس فقال لهم «أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟» وقال «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد إثنين بل جسد واحد، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان».

ولكن الفريسيين قالوا له: «إذاً لماذا أوصى موسى أن تعطى كتاب طلاق فتطلق؟» وقصدوا بذلك السؤال اصطياده.

أجاب المسيح وقال لهم: «إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساؤكم».

وبعض التراجم تقول «لأنكم غير قابلين للتعليم». وترجمة أخرى «لأنكم لا تعرفون معنى المحبة» ثم قال لهم المسيح «ولكن من البدء لم يكن هكذا». وبتعبير آخر، هذه ليست الطريقة التى رسمها الله فى سماه للإنسان منذ البدء ليعيش بمقتضاها.

ما هو الزواج؟ ولماذا رتب الله للإنسان أن يعيش هكذا؟

فى فكر الله، كان كل من الرجل والمرأة، وحدة منفصلة قبل الزواج. ولكنهما اتحدا وصارا واحداً.

الرجل والمرأة	الرجل والمرأة
قبل الزواج	بعد الزواج

فى فكر الله، هذه الوحدة سر مقدس. إنه اتحاد جسدى، ولكنه أعظم من ذلك. لذلك يقول الرسول بولس فى ١كو ٦: ١٦ «أما كنتم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول ويكون الاثنان جسداً واحداً».

إنه اتحاد شرعى بحسب القانون لكنه فى الوقت نفسه أكثر من ذلك. وإن كان عقد الزواج يتم أمام شهود من البشر ولكن العهد يتم أمام الله. إنه إتحاد مقدس، لذلك مكتوب «ماجمعه الله لا يفرقه إنسان».

لماذا رتب الله الزواج بهذه الكيفية؟ توجد ثلاثة أسباب رئيسية:

١ - لأجل الأطفال، لأنهم فى حاجة إلى عائلة تعتنى بهم. فإن إتحاد الزوج والزوجة ينتج عنه أطفال. وأولئك الأطفال يعتمدون كلية على والديهم.

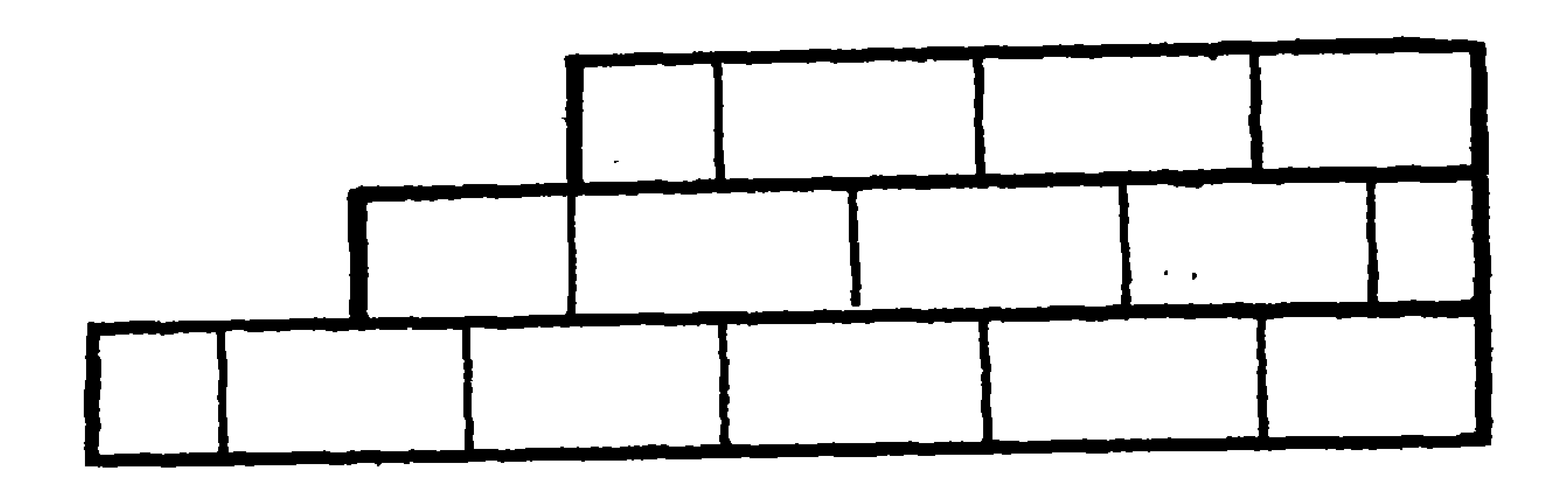
الزوج والزوجة

فى الجنس البشرى يحتاج الأطفال لعناية كل من والديهم لعدة سنين. فى عالم الحيوان نرى بعض الحيوانات تترك أطفالها تهتم بنفسها بعد الولادة مباشرة. أما الطيور فإنها تهتم بصغارها ماداموا داخل العش، إلى أن يتمكنوا من الطيران، وعندئذ، تنتهى مسئولية الوالدين. ولكن عند الإنسان فالأطفال يحتاجون إلى عناية أكبر لعدة سنين. فهم يحتاجون لعناية جسدية من طعام وكساء ونظافة. ويحتاجون إلى إرشاد وتعليم وتهذيب. ويحتاجون إلى رعاية روحية- ليعرفوا الله وكيف يصلون لله؟ وكيف يعبدونه ويخدمونه؟

لهذا كله يحتاج الأطفال لرعاية كل من الأب والأم. فاذا ما مات أحدهما كان هذا من سوء حظ الأطفال والطرف الآخر الباقى فإنه سيتحمل وحده مسئولية

تربية الأولاد.

٢ - العائلة التى تتكون من زواج مقدس، هى الوحدة فى تكوين المجتمع.



فإذا اعتبرنا المجتمع كبناء، فإن الوحدات التى يبنى فيها هى العائلات، ولما يكثر الطلاق والانفصال بين العائلات، يتفكك بناء المجتمع ويضعف ثم ينهدم ركنى المبنى بأحجار وطوب غير صالحة للبناء.

٣ - فى قصة الخلق قال الله «ليس جيداً أن يكون آدم وحده». فلم يسن الله قانون الزواج بقصد إنجاب أولاد فقط، أو لحفظ سلالة الجنس البشرى، بل قد بارك الله الزواج ليكون مصدر السعادة للأفراد.

إذاً لقد رسم الله الزواج لحفظ الحياة العائلية، ولكى يكون أساس وحدة المجتمع، وبه يحصل الإنسان على سعادته.

لكن لماذا لا يكون كل زواج سعيداً؟ وماهى الأخطار التى يتعرض لها الزواج السعيد؟

١ - الخطر الأول يأتى قبل الزواج، عندما لا يحسن الإنسان اختيار شريك حياته. خذ مثلا، فتاة صغيرة أراد والداها قبل أن يزوجاها من رجل عمره ٥٠ سنة. لأنهم ظنوا أن هذا الزواج ربح كبير لفتاتهم لأن العريس غنى. أظهرت الفتاة عدم رغبتها فى الزواج منه، ولكنهم أصروا على زواجها. والآن هى غير سعيدة مع زوجها، وتريد أن ترجع إلى بيت أبيها.

حادثة أخرى، عن شاب تخرج حديثاً من كلية الطب- صممت عائلته زواجه من فتاة قروية من قريته، أمية لا تعرف القراءة والكتابة- وبعد الزواج سافرت لتعيش معه فى القاهرة، حيث لا أصدقاء لها، كل أصدقائه من الرجال المثقفين وزوجاتهم مثقفات فكيف إذاً يعيش هذان الزوجان سعيدين فى حياتهما ؟

إذاً هل يجب أن نترك للشباب حرية اختيار شريك حياتهم، دون أى تدخل من عائلاتهم ؟ هذا أيضاً قد يضيع السعادة فكيف يقدر شاب صغير فى سن ١٨ سنة أن يختار الفتاة التى تجعله سعيداً فى كل حياته؟ وكيف تقدر فتاة فى هذا السن أن تختار زوجاً يسعدها، ويكون أباً صالحاً لأولادها ؟

لذلك يحتاج الشباب إلى نصح وإرشاد فى اختيار شريك الحياة، على أن لا يفرض عليهم الزواج ضد إرادتهم. أو الزواج من شخص لم تسبق لهم معرفته. وألا يترك اختيار شريك الحياة دون مساعدة والديهم.

٢ - الخطر الثانى الذى يتعرض له الزواج السعيد هو تدخل الآخرين فى شئون الزوجين عندما يرتبط شاب وشابة برباط الزواج، يكونان وحدة تكون نواة لعائلة جديدة. وأحيانا ينسى الوالدان ذلك، ويعاملونهما كأطفال لم يتزوجا بعد. وكثيراً ما يتدخل الوالدان فى حل مشاكل الزوجين التى يجب أن يحلاها معاً، إن التدخل الخارجى قد يضر بصالح الزوجين أكثر مما ينفع.

٣ - والخطر الأعظم الذى يتعرض له الزواج السعيد، لا يأتى من الخارج بل كثيراً مايأتى من الداخل من محبة الذات وكبرياء الزوجين، تحدث المشاحنات بين الأزواج لأسباب كثيرة قد تكون المال، أو الأطفال أو الطعام ولكن سببها الحقيقى هو محبة الذات والكبرياء، لذلك يجب على كل منهما إذا أراد أن يعيشا فى سعادة كاملة، أن يترك كل واحد منهما جزءاً من حقوقه وأن يتنازل عن كبريائه.

سأل رجل متقدم فى السن شاباً صغيراً، ما الذى يعمله ليجعل حياته الزوجية سعيدة؟ أجاب الشاب «إننى دائماً أذكر أننا شخصان متساويان بنسبة ٥٠ إلى ٥٠.

قال الرجل العجوز «هذا لا يكفى يابنى- ينبغى أن يتعامل كل واحد منكما مع الآخر بنسبة ٧٥ إلى ٢٥ فى حياة الشركة. فإذا فكرت بأن تعطيها ٧٥ ٪ من الحقوق، وهى فكرت بأن تمنحك ٧٥٪ من الحقوق، عشتما فى سعادة كاملة.

يظن بعض الناس أن تعاليم المسيح عن الطلاق أمر لا يحتمل. فلماذا لا يسمح المسيح لرجل وامرأة، لا يعيشان فى وفاق بالإنفصال والطلاق؟ ربما كان يمكن أن يكون ذلك لوكان الزواج زواجاً قانونياً فقط، ومع ذلك فهو يسبب متاعب كثيرة للأطفال. إن هدم بيت من البيوت به أطفال صغار يشبه هدم عش طير من الطيور. فإذا ما هدم الطير عشه بيده، يكون هذا أمراً غير طبيعى، هكذا إذا ماهدم بيت الزوجية يعتبر أمراً غير طبيعى.

ولكن الزواج كما قلنا أكثر من عقد قانونى، فانحلال الزواج معناه هدم الرباط المقدس الذى باركه الله. إن هذا العمل ليس خطوة سهلة هينة تسببها الكبرياء الشخصية. وحتى انفصال الرجل عن زوجته بدون طلاق شرعى هو أمر لا يحتمل. لأن ذلك فى نظر الله يعتبر هدما للرباط المقدس.

إذا كيف يتصرف الزوج والزوجة عندما يجدان أنهما غير سعيدين معاً؟. إن الظروف تختلف بين حالة وأخرى، وإنه من الصعب أن نضع حلا واحداً للجميع. ولكن توجد ثلاث نقط يجب أن نذكراها.

١ - إن الهروب من المشكلة لا يمكن أن يحلها. انك تصعب المشكلة بمحاولة الهروب والذهاب إلى بيت والديك. واجها المشكلة معاً، واذكرا أنكما تبنيان أسرة. فلا تجعلا هذا النزاع البسيط يهدم هذه الأسرة.

٢ - راجع نفسك. كم أميناً مع نفسك. هل أنت مخطئ؟ فإذا لم تجد فى نفسك خطأ، هذه ظاهرة غير طبيعية، إذ يعتبر ذلك دليلا على سقوطك فى خطايا هى أبشع الخطايا كلها ألا وهى الكبرياء. إجتهد أن تصلح نفسك حتى تستطيع أن تعيش سعيداً فى زواجك، لأنه لا يمكن أن يكون الخطأ من جانب

واحد.

٣ - أطلب العون، من الله ومن الإنسان. صل لله لكى يعينك، ولكى يمنحكما معاً روح المحبة، ويعطيكما القوة لجعل الحياة الزوجية سعيدة. أذكر أن الله يريد منك أن تبنى أسرة صالحة.

وإذا لم تقدر على حل مشاكلك أنت وشريك حياتك معاً. عليك أن تطلب النصيحة ممن تثق به وتحترمه. فلا تذهب وتصب شكواك لأول شخص تقابله فى طريقك. فلا يوجد أردأ من هذا. بل عليك أن تقصد شخصاً عاقلاً وتطلب منه النصيحة.

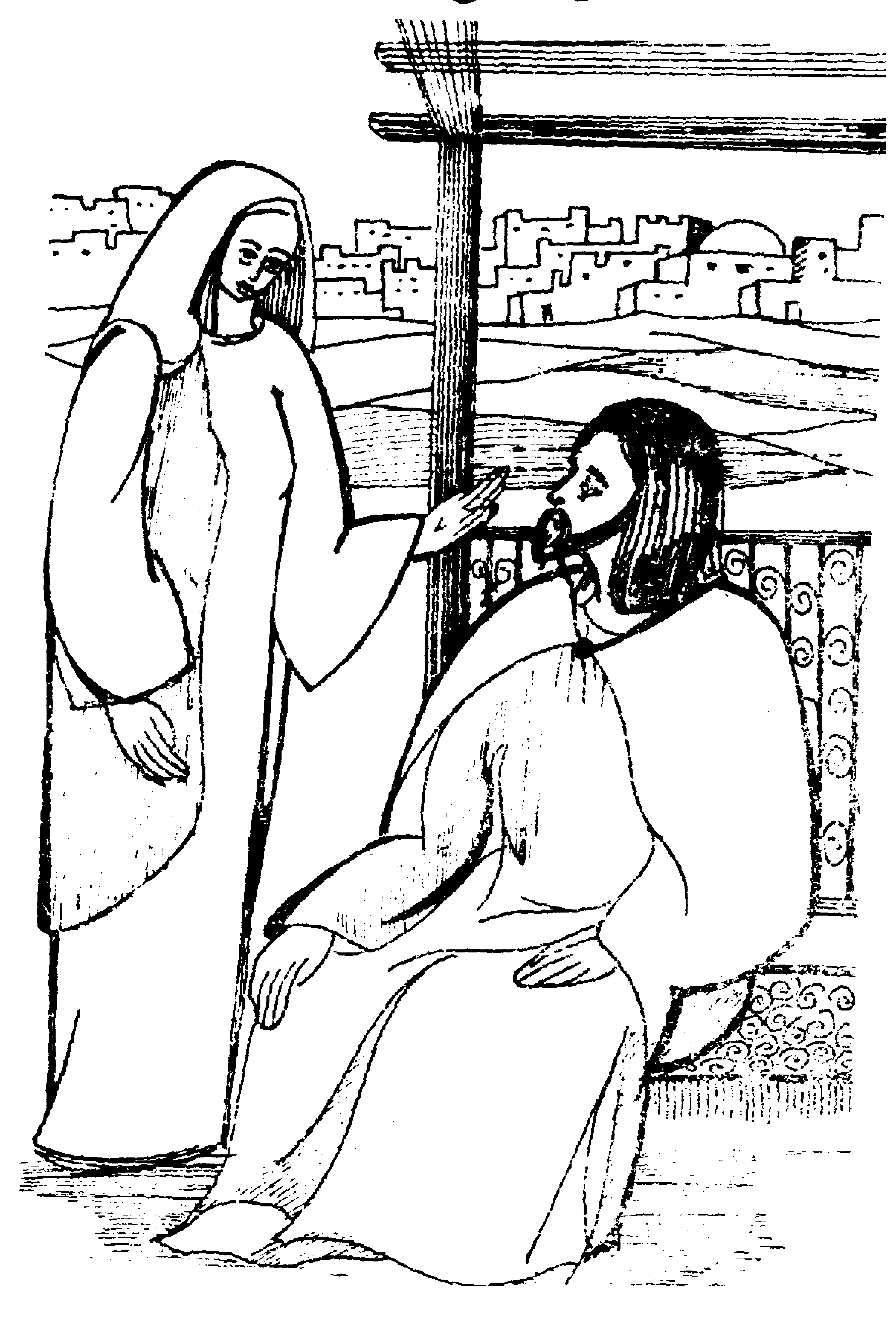
لا تكن متكبراً فلا تفعل شيئاً من ذلك، وأنت تشعر أن حياتك الزوجية وبيتك مهددان بالخراب.

جاء فى الكتاب المقدس أن الزواج مكرّم. وقد استعمل بولس الرسول الزواج كمثال للعلاقة بين المسيح والكنيسة فهو يقول «هذا سر عظيم» (اف ٥: ٣٢) فإن الله بحكمته الفائقة رسم الزواج لسعادة البشرية. لهذا لم يوافق المسيح على الطلاق وهدم الزواج.



الفصل السابع

قل لأختى أن تعيننى



لقد بحثنا فى الفصل السابق الزواج المسيحى. والآن نرى حادثة تظهر كأنها صغيرة في بيت مريم ومرثا أختى لعازر. وبمقارنة هذه الحادثة بموضوع الزواج يظهر أن ماحدث بين الأختين هو عبارة عن سوء تفاهم بسيط. ولكن سوء التفاهم البسيط هذا قد يكون سبباً فى تعكير جو السلام فى بيوتنا.

كان يسوع ضيفاً فى بيت مريم ومرثا. جلست مريم عند قدميه وأصغت إلى حديثه، بينما كانت مرثا تنشغل فى أمور خاصة داخل المنزل ربما كانت تجهز الطعام للضيف الكريم . وإذ كانت تعمل وحدها شعرت بالتعب الشديد. أما مريم فكانت كل الوقت جالسة مع يسوع وتركت مرثا تعمل كل العمل وحدها. وربما كانت مريم هى الأخت الصغرى المدللة التى لم تعتد العمل بالمنزل.

وبعد قليل جاءت مرثا غاضبة. كان يمكن أن تدعو مريم خارجاً وتطلب منها مساعدتها. ولكن مرثا، فى غضبها، أرادت أن تعلن أمام يسوع والضيوف عدم معاونة مريم لها، وكيف تركتها تشتغل لوحدها شغلاً شاقاً. فدخلت إلى يسوع وقالت له «ياسيد ألا تبالى أن أختى تركتنى أخدم وحدى. قل لها أن تعيننى».

لنتصور النغمة التى تكلمت بها مرثا. لقد كانت متأكدة أنها فى جانب الحق وأنه لم يكن من اللياقة أن تجلس أختها مريم هكذا فى كسل، وكان يجب عليها أن تقوم لمساعدتها فى عمل البيت. كل إمرأة تستطيع أن تفهم ماذا تعنى مرثا. ولكن لأن المسيح كان رجلاً، أرادت مرثا أن توضح له ماذا يجرى داخل المنزل. لا شك أن مرثا كانت مغرورة فى نفسها، وظنت أن المسيح لا بد أن يوبخ مريم لتركها العمل كله على عاتق أختها. لقدكانت مرثا تتحدث مع يسوع بروح البر الذاتى.

لقد قابل المسيح ذلك بروح طيبة، فبدلا من أن يأخذ جانب مريم، وجه كلامه إلى مرثا. وبدلا من أن يوبخ مريم، وبخ مرثا توبيخاً رقيقاً فقال لها «مرثا مرثا أنت تهتمين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة إلى واحد». ربما قصد أن يخبرهما بأنه لا يجب أن تنشغل كثيراً من أجل طعامه وإن شيئاً بسيطاً يكفى له، ثم قالت لها «اختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها».

لم يقبل المسيح الأساس الذى بنت عليه مرثا شكواها. كان قصدها أن يوافق معها ويعلن أنه لا يجوز لأخت واحدة أن تقوم بكل شغل البيت. ولكن المسيح كان يفكر ويجيب بطريقة أخرى، فقد وبخ مرثا ومدح مريم. لماذا؟ لأن مرثا كانت منشغلة بأشياء ليست مهمة. أما مريم فقد أحسنت الإختيار بجلوسها عند قدمي يسوع تستمع كلامه. لقد أخطأت مرثا فى إختيار العمل الذى تقوم به، وفى توجيه اللوم لمريم.

ماهى المبادئ التى نتعلمها من هذه القصة لنعيش فى سلام مع الآخرين؟ يجب أن نسلم بأن معظمنا يشبه مرثا، لا مريم. نريد من الله أن يصحح خطأ الآخرين مع أننا واقعون فى الخطأ. نشغل أنفسنا بأعمال نظنها فى غاية الأهمية، فلا نجد وقتاً نستمع فيه ليسوع. إننا نشبه الثور الذى يدور فى الساقية معصوب العينين يدور ويدور وهو لا يتقدم خطوة واحدة. نظن نحن أننا نتقدم إلى الأمام، مع أننا لم نتقدم خطوة واحدة. لقد تعبنا من أعمالنا التى نقوم بها لدرجة أننا فقدنا صبرنا مع الآخرين. ومع ذلك نتصور أن الأمور التى تنشغل بها هى أهم شئ فى العالم.

يقال عن تاجر كان يشتغل بجد ونشاط، ليبنى مستقبله. فلم يكن له وقت فيه يذهب إلى الكنيسة. وكان يعذر نفسه قائلا بأنه يجب أن يجاهد ليعول عائلته. كان كثير السفر وقلّما كان يرى أولاده وزوجته. فأثر العمل الشاق على صحته فمرض مرضاً أعجزه عن القيام بأى عمل. ولزم الفراش سنة كاملة حتى شفي من مرضه. وفى هذه المدة التى قضاها فى الفراش تعلم هذا الإختبار العميق فقال «سألت نفسى لماذا أشتغل هذا الشغل الشاق؟ ماذا أريد من الحياة؟ ماهو أهم شئ فى حياتى؟» وأخيراً عرف أنه صرف وقته فى أشياء ليست لها القيمة العظمى فى الحياة. وبعد ما شفى تماماً، بدأ يذهب إلى الكنيسة كما كان يذهب وهو طفل صغير. ولم يعد يفكر فى جمع المال، وصرف معظم وقته مع عائلته وقال: «أشكر الله لأنه عمل معى عملاً صالحاً، إذ أعطانى فرصة ثانية».

كيف نعرف أهم شئ فى حياتنا؟ عرفت مريم ذلك بجلوسها عند قدمي

يسوع تستمع له. ينبغى أن نفكر كل يوم فى كيف نصرف أوقاتنا. يجب أن نختار نوع العمل الأفضل لنصرف فيه وقتنا. قد ننشغل كل الوقت ولكن هذا لا يعنى أننا نقوم بأعمال صالحة ونافعة.

يجب أن نتوقف قليلاً لنسأل أنفسنا «هل هذا العمل الذى أعمله هام ونافع؟» أو «هل الغرض الذى أعمل لأجله هو ماأحتاجه أكثر من غيره؟» عندئذ قد يتحقق لنا أن ما نفعله ليس هو الأمر الذى نحتاجه أكثر، وتوجد أعمال يجب أن نضعها فى المرتبة الأولى أفضل من هذه.

يقال عن زوجة شابة كانت تنظف حجرة الخزين. فوجدت سبتاً فى ركن من أركان الحجرة ظنته ممتلئاً بشئ لا قيمة له يشبه التبن أو القش. فألقت ما فى السبت خارجاً دون أن تخبر زوجها. وعندما علم زوجها بما حدث، غضب غضباً شديداً وصرخ فيها قائلا «أيتها الجاهلة هذه بذور برسيم يبلغ ثمنها خمسة جنيهات» لقد ألقت الزوجة البرسيم خارجاً لأنها لم تعرف قيمته وظنت أنها فعلت حسناً ونظفت حجرة الخزين.

وهكذا نفعل نحن ، فكثيراً ما نفكر أننا نعمل حسناً، ولكننا فى ذلك قد نترك ماهو أكثر أهمية لنا. ولقد ظنت مرثا أنها تعمل حسناً وهى تجهز طعاماً ليسوع، ولكن ما اعتبرته حسناً لم يكن هو الاختيار الصالح.

لم تكتف مرثا بأن تعيش بحسب مقياسها الخاص أو بحسب ماتعتبره صالحاً فى نظرها، بل أرادت أيضاً أن يعيش الآخرون بهذا المقياس. لقد كان شغل البيت هو أهم شئ فى نظرها، وأرادت أن تجعل مريم تفكر كذلك. إنها لم تسأل إن كانت فى جانب الصواب أم لا، لأنها كانت تعتقد ذلك. نعرف كثيراً من الناس يسلكون مثل مرثا. وإذا سمحنا لهم أن يفرضوا إرادتهم علينا، جعلونا نعيش بحسب مقياسهم وتقديرهم وكان يمكن لمريم أن تقول للمسيح «أعذرنى ياسيد. كنت أود أن أجلس عند قدميك وأستمع إلى كلامك، ولكن يجب أن أذهب وأساعد أختى مرثا فى الغذاء لأنها تفكر أن هذا أمر هام». ولكن مريم لم تفعل لأنها لم تقبل مقياس مرثا فى الحياة.

لنلاحظ الآن كيف استطاع المسيح أن يوفق بين إثنتين غير متفقتين لعل هذا يكون مرشداً لنا عندما ندعى لنضع سلاماً.

١ - لم يتأثر من غضب مرثا عندما جاوبها. ونحن لا نستطيع أن نضع سلاماً إذا تأثرنا بغضب الآخرين.

٢ - كان جوابه رقيقاً ولكنه كان حاسماً- وكل واحد فهم ماكان يقصده من كلامه.

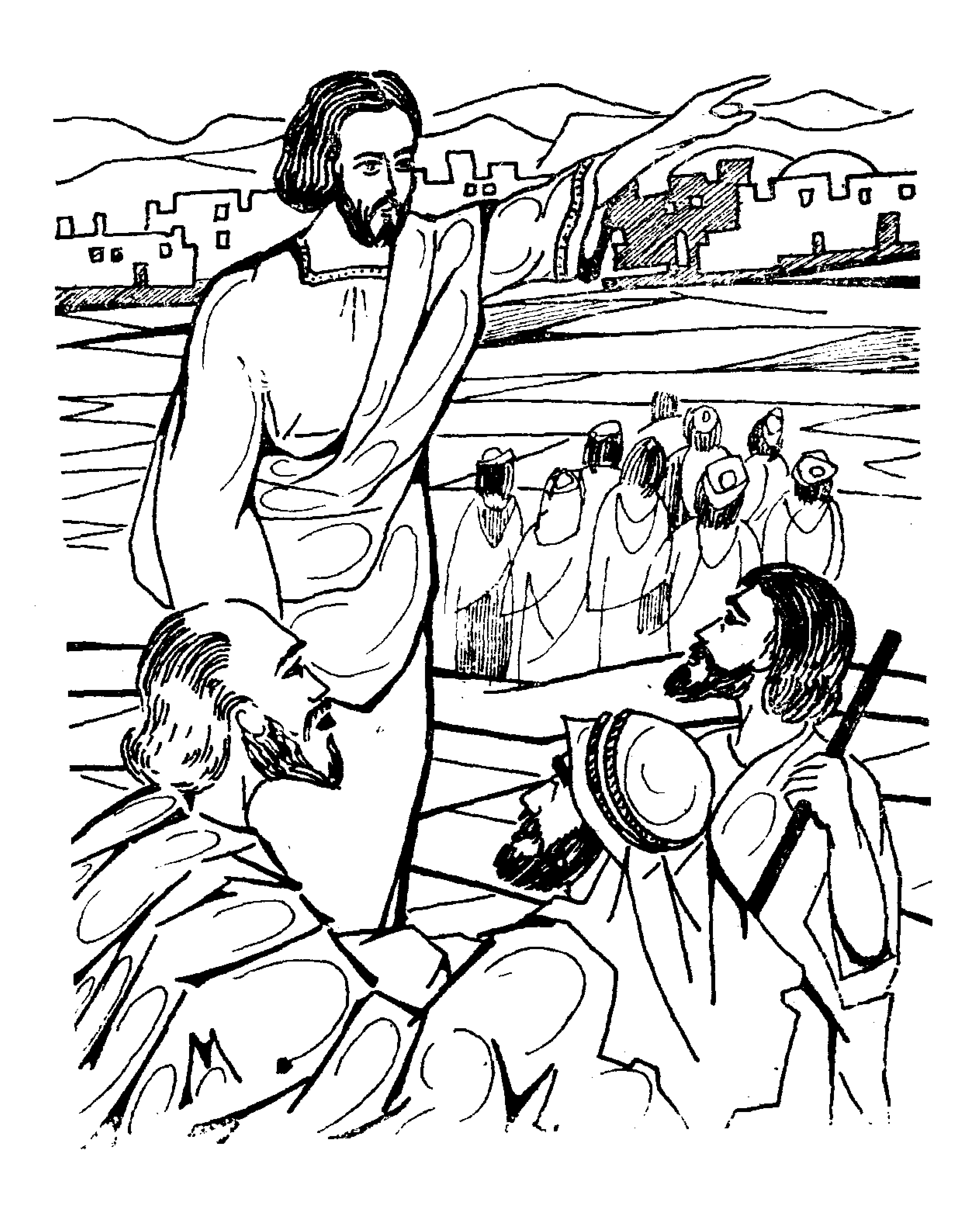
٣ - لم يحاول أن يرضى كل واحد.

٤ - إنه رفع السؤال من المستوى الذى قدمته به مرثا إلى مستوى أعلى. وبذلك قرر ما هو حق ولم يدخل فى مباحثات شرعية.

السلام الحقيقى يأتى من القلب وليس من العقل.

الفصل الثامن

هل تطلب لهم ناراً تفنيهم ؟



كيف نعامل الناس الذين يرفضون يسوع؟ هل نطلب لهم من السماء ناراً لتلاشيهم من الوجود؟

كان المسيح ذاهباً إلى أورشليم للمرة الأخيرة، وهو يعلم ماذا يصيبه هناك، سيقبض عليه ويصلب. وفى الطريق أرسل يعقوب ويوحنا إلى قرية سامرية، ليعدا له مكاناً يقضى فيه ليلته. فلم يقبله السامريون، وكما يقول لوقا، لأن وجهه كان متجهاً نحو أوشليم. لربما كانوا يرفضون كل شخص يعتبر أورشليم المدينة المقدسة، لأنهم كانوا يؤمنون أن جبل جرزيم هو الجبل المقدس. غضب يعقوب ويوحنا لانهم كانوا ينتظرون أن يقابل الناس معلمهم المحبوب بالفرح وليس بالرفض. كان يجب أن يفكر سكان هذه القرية أنه سيكون لهم عظيم الشرف باستقبال السيد المسيح فى بيوتهم. إن هؤلاء الفلاحين البسطاء يجب أن يعرفوا أنه شرف عظيم لهم أن يأتى اليهم يسوع. ولكن هذا الرفض لم يكن شيئاً جديداً فى حياة المسيح فقد رفض سابقاً فى ليلة ميلاده فلم يجد مكاناً فى المنزل فى بيت لحم.

كان المسيح ينتظرهم خارج القرية. فجاءوا وهم فى حالة الغضب. وربما كان الوقت متأخراً، والظلام قد حل، وهم فى غاية التعب من (السفر الطويل) ويحتاجون إلى مكان للراحة. وكانوا يشعرون أن هؤلاء القرويين قد سبوهم وأهانوهم، لأن رفض معلمهم هو إهانة لهم. ثم وقفوا أمام السيد وأخبروه بما حدث فى القرية، ثم أضافوا فى غضب «يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟ أجابهم يسوع منتهراً إياهم «لستما تعرفان من أى روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأتى ليهلك أنفس الناس بل ليخلص» وبعد أن وبخهم مضوا إلى قرية أخرى.

لنفرض أن المسيح قال ليوحنا عندما اقترح هلاك القرية «إذهب إلى القرية وادخل إلى بيت من البيوت، حيث تجد رجلا يتناول طعام العشاء مع زوجته وأولاده أحضره معك إلى هنا، ونحن نشعل النار، ثم اطرحه فى وسط اللهيب.

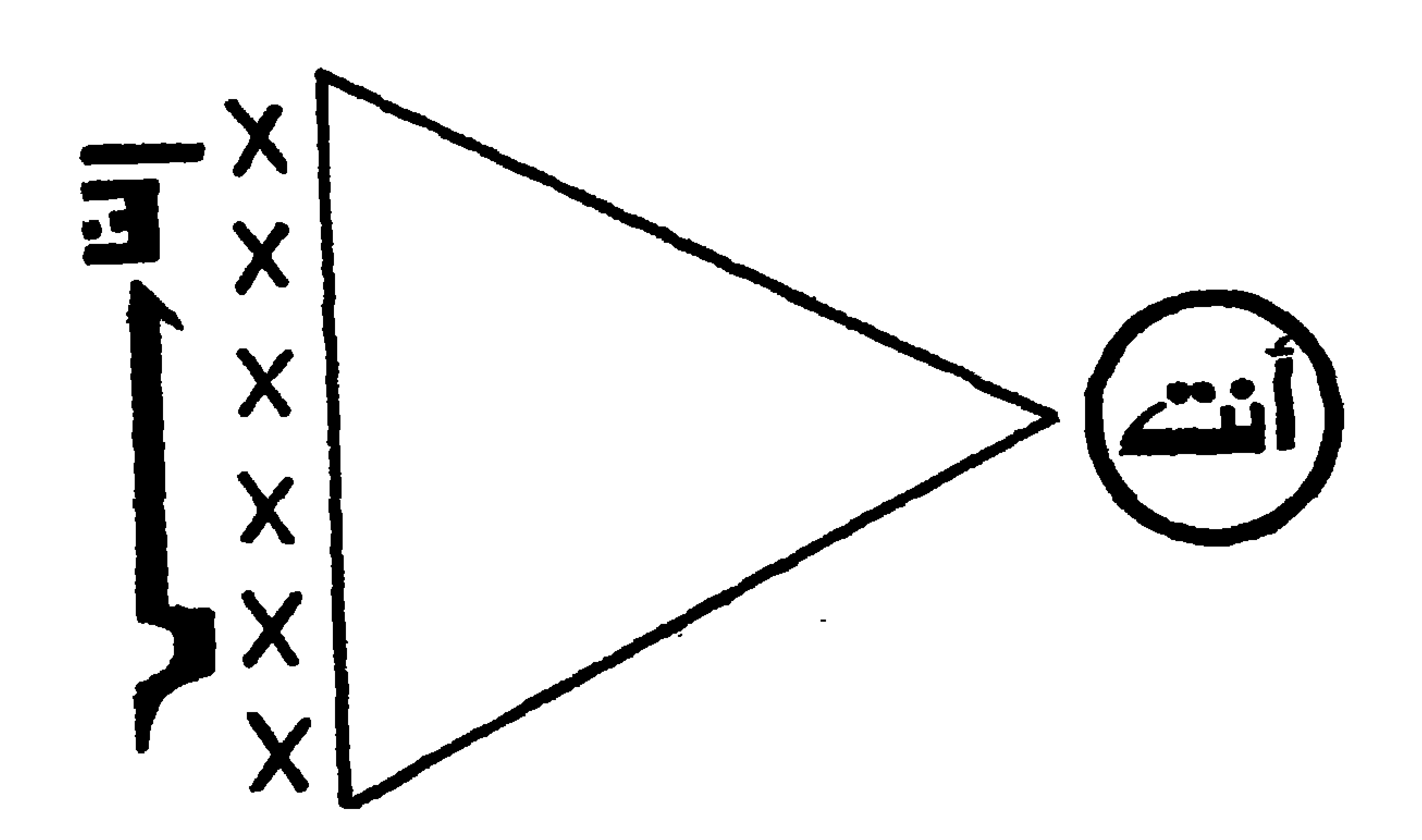
لا شك أن يوحنا إذ يسمع هذا الاقتراح يفزع فزعاً شديداً. مع أنه كان

يقترح هلاك القرية لعلها تنزل نار من السماء.

لماذا إذن لا نشعر أحيانا بحرج فى هلاك مجموعة من الناس مع أننا فى ذات الوقت نحترم حياة الأفراد.

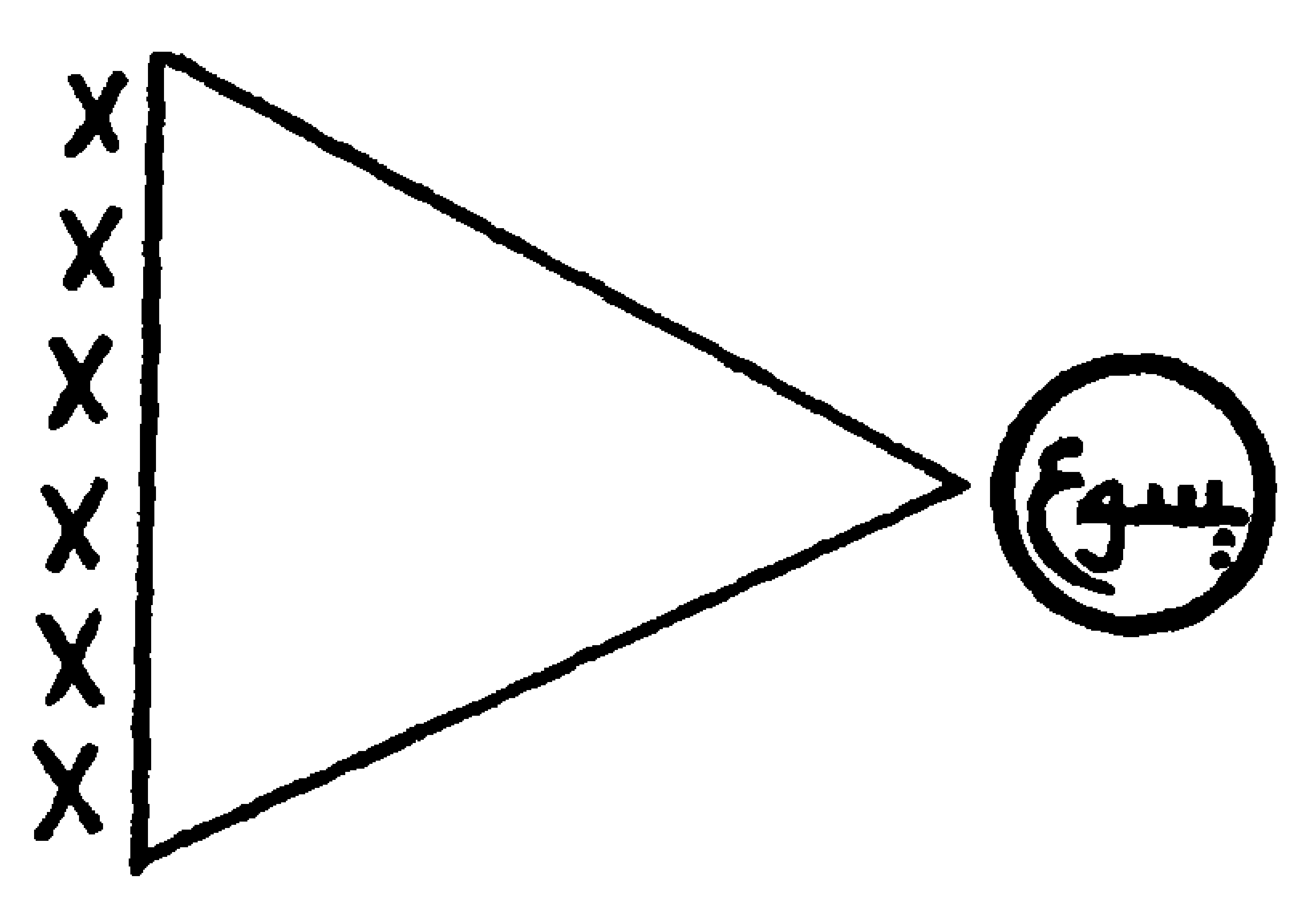
عندما تقابل شخصاً ترى فيه إنساناً أنت تعترف أن هذا الانسان هو مخلوق بشرى مثلك- ربما تكون له زوجة وأطفال يعولهم، يأكل ويشرب وينام ويتألم مثلك تماماً.

ولكنك عندما تواجه جماعة من الناس، إنك لا تنظر إليهم كأفراد أو مخلوقات بشرية مثلك بل تنظر إليهم كمجموعة.



مع أن نفس الشخص الذى قابلته قبلا ربما يكون من ضمن هذه الجماعة. وهو مازال نفس الفرد الذى اعترفت أنه مثلك تماماً.

أما المسيح عندما ينظر إلى مجموعة من الناس يراهم واحداً واحداً كأفراد.



أتذكر تلك المرأة التى لمست ثوب يسوع فى وسط الازدحام ونالت الشفاء.؟ عندما سأل يسوع «من لمسنى» قال له الجموع «يامعلم الجموع يضيقون عليك ويزحمونك وتقول من الذى لمسنى»؟ ولكن يسوع لا يدع نفساً تضيع فى وسط الجموع.

إن إستخدام روح العنف شر. سواء كانت ضد المجموع أو ضد الفرد. إن إحدى شرور الحروب أنها تبيح قتل الجماعات. وربما امتنع رجل عن قتل رجل آخر ولكنه فى نفس الوقت يلقى قنبلة على مدينة ويهلك آلاف النفوس.

علّم المسيح قيمة حياة الفرد. إنه لا يريد أن يهلك أحداً. قدم نفسه فداء للإنسان. عندما جاءوا ليقبضوا عليه فى البستان قال «أتظنون أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من إثنى عشر جيشاً من الملائكة؟». فلم يكن العنف من طبعه.

ويوجد فى تاريخ الكنيسة كثيرون من أبناء الرعد أمثال يعقوب ويوحنا، فكروا فى الدفاع عن شرف المسيح بوسائل العنف. فأشعلوا الحرب، وحرقوا المدن، وذبحوا الناس الآمنين، كل ذلك باسم المسيح. ولكن هذا لم يكن موافقاً لروح المسيح.

أينما شعرنا بالحقد ضد أولئك الذين يرفضون ميول المسيح، وفكرنا فى إستعمال العنف ضدهم. أذكروا أن هذا ضد روح المسيح «لأنه جاء لا لكى يهلك بل ليعطى الحياة».

لقد ظهرت محبته للجميع وذلك فى أعمال الشفاء والتغذية والتعليم، حتى أولئك الذين صلبوه شملهم بعطفه وطلب من أجلهم «ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون».

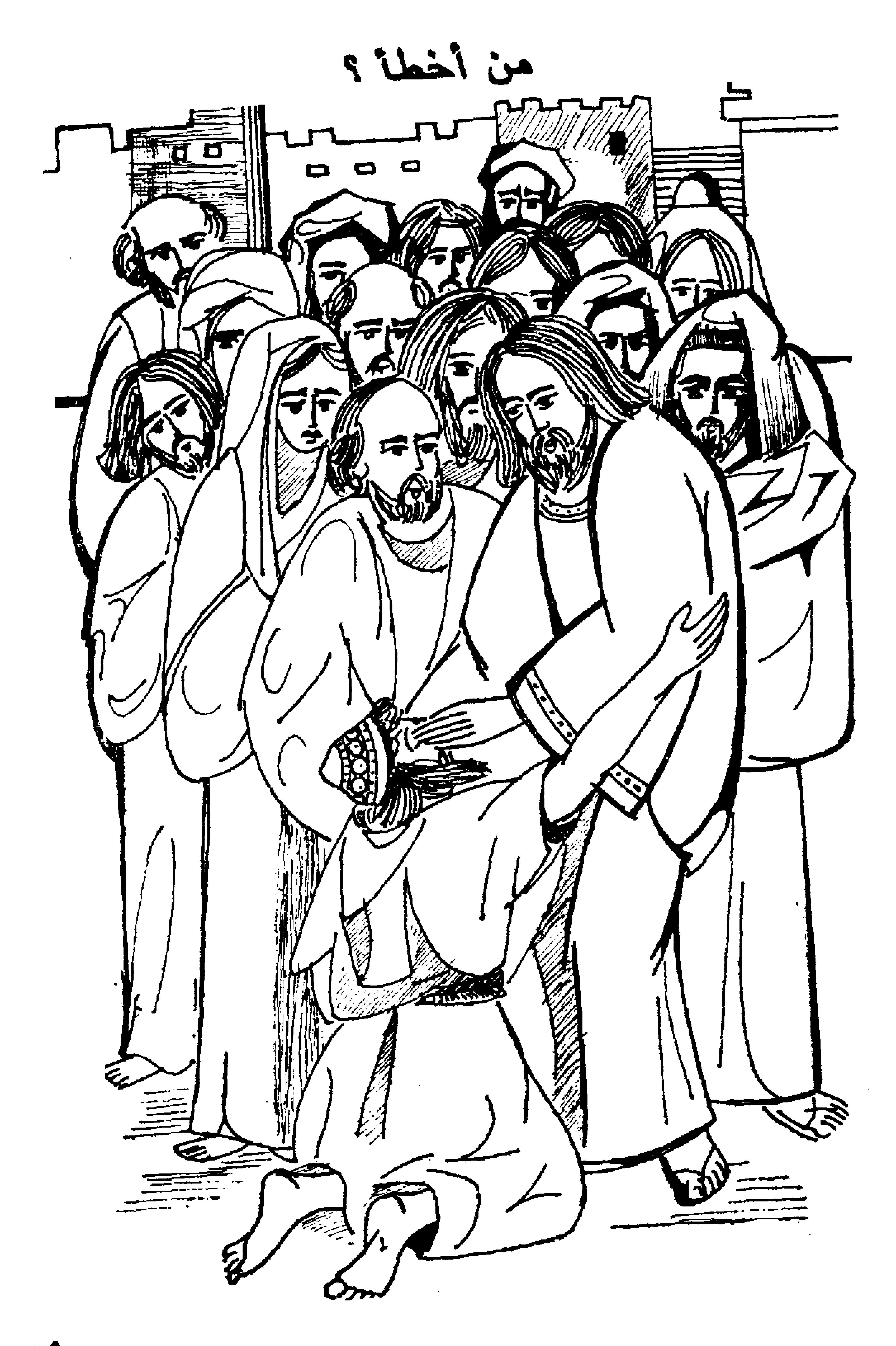
وأينما كنا فنحن كمسيحيين نمثل صورة المسيح المنظورة فى هذا العالم. فنحن إذ نعيش فى وسط أولئك الذين يعرفونه، لا ننسى أننا ممثلين له، وعندما يرى الناس أعمالنا يقولون (حقاً هذه هى صورة المسيحى الحقيقى).

يقال إن شاباً مصرياً ذهب ليدرس فى زامبيا. وسكن مع جماعة لم يعرفوا شخصاً مصرياً من قبل. ولم يمض وقت طويل على وجوده معهم حتى بدأوا يقولون «المصريون يفعلون كذا ... وكذا ...». مثل مافعله الشاب المصرى. قال الزامبيون «هذه صورة المصريين». فإذا ضحك الشاب. قالوا «إن المصريين يحبون الضحك». وإذا استيقظ متأخراً قالوا: «إن المصريين يستيقظون متأخرين». فكل فكرة تخيلوها عن المصريين، جاءتهم مما راؤه من أعمال هذا الشاب المصرى.

وينبغى علينا كمسيحيين أن نعرف أن جيراننا يكوّنون أرائهم عن المسيحية من أعمالنا نحن. أنهم لا يصغون إلينا إذا بشرناهم. ولكن لا نستطيع أن نمنعهم من مراقبة أعمالنا وتصرفاتنا وكيف نعيش . هذا هو الإنجيل الذى يعرفونه.

لننتبه إذاً، بأن تكون الروح التى يرونها فينا هى روح المسيح وليس روح البغضة والكراهية والانتقام.

من أخطأ ؟



هذا سؤال برئ. سأله التلاميذ ليسوع بروح الاستفهام. فعندما رأوا رجلاً مولوداً أعمى منذ ولادته. سأله التلاميذ «من أخطأ: هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟».

لقد سألوا هذا السؤال بشعور صادق يرجون أن يجيب المسيح عليه. ولكنه كان سؤالا تافهاً أظهر خطأ تفكيرهم. سألوا «من أخطأ: هذا أم أبواه؟».

والواضح من سؤالهم أنهم ظنوا أن عمي الرجل جاء نتيجة خطية، وأرادوا أن يعرفوا من هو الذى أخطأ: هل هو أم أبواه. إنه نوع من الأسئلة التى لا يجيب عليها المسيح إجابة مباشرة.

بل كان عليه أن يغيره ويضعه فى صورة مختلفة قبل أن يجيب عليه.

لنفرض أن أحدهم سألك «هل نهر النيل يجرى من الشرق إلى الغرب أو من الغرب إلى الشرق فكيف تجيب؟ تجد نفسك مضطراً أن تطرح هذا السؤال جانباً وتجيب قائلاً «نهر النيل لا يجرى من الشرق إلى الغرب ولا من الغرب إلى الشرق بل يجرى من الجنوب إلى الشمال».

وأحيانا نقع فى نفس الخطأ عندما نصلى، فكثيراً ما نطلب من الله، ولكنه لا يجيب لأننا نطلب ردياً. فإذا سألت الله قائلاً «هل تريدنى أن أكون مهندساً أم طبيباً»؟ هذا خطأ لأنه قد لا يريدك أن تكون مهندساً ولا طبيباً، بل يريدك أن تكون قساً أو معلماً أو فلاحاً.

فإذا شعرنا أن الله لا يستجيب صلواتنا، فلنمتحن طلباتنا لنرى إذا كنا نطلب ردياً.

وفى حالة الرجل الأعمى، نقل المسيح السؤال عن الأساس الذى بناه عليه التلاميذ. فقد ظنوا أن عمى الرجل كان عقاباً لخطية أحد الناس. لكنه استنكر ذلك وقال لهم «لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه». فعماه ليس عقاباً لخطيئة ما لا علاقة له بها.

وكيف كان شعور الرجل الأعمى ياترى عندما سمع جواب المسيح؟ ربما عاش حياته كلها فى هذا التفكير الخاطئ، كان يعتقد أن عمله كان نوعاً من العقاب وهذه كانت عقيدة مألوفة فى ذلك الوقت. وحتى فى أيامنا هذه . يظن بعض الناس أن أى نوع من الآلام هو عقاب من الله. ولعل الرجل الأعمى اتهم أبويه بأنهما كانا السبب في عماه. وظن أن الله قد عاقبه لأجل خطيتهما. ولكنه عندما سمع كلام المسيح تغيرت نظرته. إن عماه لم يكن عقاباً لخطية ما ولكنه كان لإظهار قوة الله. ولكى يبرهن المسيح على ذلك، أظهر هذه القوة ومنح الرجل بصره.

ضع نفسك مكان الرجل الأعمى. هل تسر لو علمت أن السنين الطويلة التى قضيتها فى الظلام كانت لغرض إظهار مجد الله؟ نعم. أليس هذا أفضل بكثير من التفكير فى أنك تحمل هذه الآلام عقاباً لخطاياك أو خطايا أبويك.

إننا لا نقدر أن نقول إن المسيح قد عالج مشكلة الألم كلها فى حالة الأعمى هذه. بل كان يعالج حالة خاصة، وفيها أوضح أن عمى الرجل لم يكن عقاباً على خطية.

توجد أسباب كثيرة للآلام البشرية. أحياناً تكون الخطية هى السبب المباشر لها ولكن هنالك أحوال كثيرة يتساءل فيها الإنسان «لماذا يسمح الله بهذه الآلام؟».

ولقد سأل الإنسان هذا السؤال منذ بدء التاريخ. وفى قصة أيوب يجسم الكاتب المشكلة. وقد كان رأى أصحاب أيوب كرأى تلاميذ يسوع هى أن الألم هو نتيجة حتمية لعدم رضى الله. لقد قالوا إنه إذا تألم إنسان فإنه ينال أجرة خطيته، ولكننا من القصة عرفنا أن الله كان يمتحن أيوب ولم يكن ماحدث عقاباً له.

معظم أسئلة الناس عن الألم تبدأ بلمحة «لماذا». لماذا يتألم البار، فيما يسعد الشرير؟. لماذا يتألم إنسان أكثر من الآخر؟ لماذا يصاب هذا الإنسان بهذا

الألم بالذات؟ ولماذا يصاب الآن وليس فى وقت ملائم آخر؟.

مثل هذه الأسئلة وغيرها يسألها الناس فى كل مكان وفى كل عصر.

ولكن الإجابة على هذه الأسئلة مستحيلة لأن الله لا يعلن لنا كل مقاصده. لذلك لم يجد الناس حلاً مرضياً لمشكلة الألم. ولكننا فى ضوء تعاليم المسيح نحاول أن نجد توضيحاً لها.

وهنا يشير المسيح أن الألم ليس دائماً نتيجة لخطية، ولا يعتبر عقاباً فى كل الحالات. ولكن، هل توجد حالات يكون الألم فيها نوعاً من العقاب؟ إنه إن لم تكن هذه قاعدة عامة كما يظهر من هذه القصة، نستطيع أن نقول إن الألم يكون أحياناً على خطية.

ففى بعض الحالات يتألم شخص لأنه يجهل الناموس طبيعياً كان أو روحياً، يعتبر هذا الألم عقاباً نتيجة لجهله. وإذا وضعت يدى فى النار تألمت، وألمى هذا نوع من العقاب، لجهلى بالقانون الذى يقول «إن النار تحرق». وإذا تسلق رجل نخلة طويلة بدون حزام، قد يسقط وتنكسر يده أو رجله، فتقول إن الألم الذى أصابه كان عقاباً له لجهله بقانون الجاذبية، إن العالم الذى نعيش فيه تحكمه قوانين وأنظمة ثابتة. وعندما يجهل الإنسان هذه القوانين والأنظمة يتألم، لكن كلمة عقاب فى هذه الحالات ليست كلمة دقيقة. إن كل مافى الأمر هو أنه إذا أراد الإنسان أن يحمى نفسه من هذه الآلام، عليه أن يخضع للنواميس الإلهية. لأن الله لا يمكن أن يغير نواميسه لتوافق كل فرد على حدة.

وكما أن الله خلق نواميس خاصة تحكم الطبيعة، خلق أيضاً نواميس أخرى تحكم النظام الروحى. والإنسان الذى يجهل هذه النواميس الروحية يتألم كما يحدث تماماً عندما يجهل النواميس الطبيعية والناموس الإلهى يقول «تحب قريبك كنفسك». وعندما نجهل هذا القانون نسبب لأنفسنا وللآخرين الألم.فالألم نوع من العقاب، يذكرنا أننا إذا كسرنا نواميس الله كانت النتيجة آلاماً لنا.

لكن هذا التوضيح لمشكلة الألم لا ينطبق على كل الحالات. فلا يمكننا أن

نقول إن كل إنسان يتألم قد كسر فعلاً قانوناً طبيعياً أو روحياً- فأحياً نرى سبباً مباشراً للألم وأحيانا لا نراه. وسأذكر لكم بعض الأسباب الواضحة للألم.

١ - فالجهل هو أحد الأسباب المعروفة للألم. والناس الجهلاء فعلاً لا يعرفون أن الذباب ينقل الأمراض. لذلك يمرضون ويتألمون من أمراض كثيرة لأنهم لا يهتمون بقتل الذباب.

والجهل هو نتيجة لعدم التعليم. ولكن إذاتعلم الإنسان ثم عمل مايعمله غير المتعلم فلا يعتب فيما بعد جاهلاً بل بليداً- والألم يصيب الجاهل والبليد معاً. ويستمر الذباب فى نقل الأمراض ويسبب الألم للإنسان الجاهل، سواءأكان غير متعلم أم كان بليداً.

٢ - الضعف يسبب الألم. فإذا كان الإنسان ضعيفاً فى جسده فلا يستطيع العمل، لابد أن يتألم هو وعائلته من الجوع، كذلك إذا كان الإنسان مصاباً بضعف عقلى أو أدبى، فإنه يقاسى أنواعاً أخرى مختلفة من الألم.

٣ - وهناك أنواع كثيرة من الألم سببها الطمع، والقساوة، والشرور، والشهوة وبعض الشرور الأخرى. وكثير من الناس يتألمون نتيجة لإجرام أناس آخرين.

٤ - خلل النظام الإجتماعى يسبب كثيراً من الآلام. ونعنى بذلك ازدحام السكان فى بعض المدن، التفرقة العنصرية، عدم العدالة فى توزيع الثروة والممتلكات. وكثير من الناس يتألمون بسبب الشرور الاجتماعية وبسبب خطايا الناس الذين وضعوا أسس المجتمع.

٥ - وأخيراً توجد حوادث ونكبات طبيعية مثل الحرائق والزلازل والفيضانات، تسبب الألم للإنسان.

إنه من السهل معرفة هذه الأسباب المختلفة للألم. ولكننا مازلنا نتساءل. أين هى أصبع الله فى كل هذه المصائب؟ هل هو الذى يرسل هذه النكبات على الناس؟ وإذا لم تكن عقاباً من الله فلماذا يسمح بها؟

إنه ليس من الصواب أن نقول إن الله يرسل هذه الآلام. ونستطيع أن نلاحظ في الأسباب السابق ذكرها.

إن الإنسان يجلب على نفسه الآلام إما بطريقة مباشرة أو غيرمباشرة. نعم قد تكون الخطية تسبب الآلام، إذا قصدنا خطية الجنس البشرى كله. وإذا إعتبرنا أن كل جهل لناموس الله خطية.

لقد أعلن المسيح لتلاميذه عندما سألوه عن الرجل المولود أعمى، بأن الله يستخدم الألم، فحيثما وجد الألم كانت الفرصة لإظهار قوة الله ومجده.

ولكن كيف يستخدم الله الألم؟

١ - كطريقة للتعليم والتهذيب. لنستطيع أن نتعلم كيف نطيع نواميس الله، الطبيعية منها أو الروحية- إذا عرفنا أن كسر هذه النواميس يسبب لنا الألم. إن هذه الطريقة طريقة صعبة للتعليم، ولكنها مع الإنسان الذى أعطى حرية الإرادة، هى الطريقة الوحيدة.

٢ - يستخدم الله الألم ليصيرنا متواضعين- فإذا تذمر أحدنا من الألم الذى يجوز فيه، وظن أنه لا يستحق كل هذا، ليذكر أن المسيح قد وضع نفسه كإنسان قبلنا.

٣ - وأحياناً يستخدم الله رجلاً متألماً أو إمرأة متألمة لإظهار الفضائل المسيحية الجميلة فيها، إن الجواهر لا تلمع ويظهر جمالها إلا إذا وضعت أمام ثوب أسود. هكذا فضائل الإيمان والمحبة، والصبر، والإحتمال، والفرح، والرجاء، لاتظهر فى مجدها ولمعانها إلا فى حياة الألم.

أذكروا آلام أيوب، قالت له زوجته «إلعن الله ومت» ولكن أيوب أجاب «لو سحقنى، لكنى أثق به».

أية وصية هى العظمى؟



يخبرنا متى البشير عن سؤال آخر وجهه الفريسيون للمسيح بقصد إمتحانه، لقد سمعوا أن الصدوقيين قد فشلوا فى اصطياده بسؤالهم عن القيامة مت ٢٢: ٢٣- ٣٠. فجاءت مِنهم جماعة تحاول أن تنجح فيما فشل فيه الصدوقيون وسألوه يامعلم أية وصية هى العظمى فى الناموس.

كان الفريسيون كعادتهم غير مخلصين فى سؤالهم، بل قصدوا امتحان قدرته فى معرفة الناموس. إنهم لم يقصدوا جواباً للسؤال، بل قصدوا أن يمسكوا يسوع فى خطأ ناموسى ليبرهنوا أمام الناس تفوقهم عليه فى معرفة الناموس.

عرف المسيح غرضهم من هذا السؤال. وكان في امكانه إهمال سؤالهم وعدم الدخول فى مباحثات ناموسية. ولكنه أراد أن لا يترك فرصة ثمينة كهذه دون أن يعلن لهم درساً هاماً حتى وإن لم يكن ذلك غرض الفريسيين.

يشمل جواب المسيح ثلاثة أجزاء- إن قصدهم بالسؤال أية وصية هى العظمى هو، ماهى أهم وصية فى الناموس.

١ - تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى والعظمى.

٢ - والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك.

٣ - بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء.

ولوكان قصد المسيح أن يرد على سؤال الفريسيين فقط، لاقتصر على الوصية الأولى ولكنه كان يريد أن يعلم الجموع لا أن يدخل فى مباحثات مع الفريسيين بل أراد أن يساعد الناس على كيفية تطبيق الناموس فى حياتهم، فقدم هذا الجواب كاملاً.

هذان الأمران لاينفصلان:

محبة الله | محبة القريب

وذلك كما قال الرسول يوحنا «لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره»١ يو ٤: ٢٠. فإن كانت محبتنا لله لا تظهر فى حياتنا وتثمر فى محبة القريب، فتكون محبة من أفواهنا فقط وليست من قلوبنا.

قال المسيح إنه بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء. بكل ماقيل فى الناموس أو الأنبياء إنما يتلخص فى هاتين الوصيتين. فإذا أحببنا الله وأحببنا القريب أصبح من السهل جداً تنفيذ كل مطاليب الناموس الأخرى. فالمحبة هى المفتاح الذى تفتح به كل مطاليب الطاعة لله. ولتوضيح هذا، لنتأمل قليلاً فى كل العلاقات البشرية، فالطفل الذى يحب والديه، لا يجد صعوبة فى إتمام الوصية التى تقول «أكرم أباك وأمك». والرجل الذى يحب زوجته، لا يجد صعوبة فى حفظ عهود الزواج. فالمحبة تجعل الطاعة للناموس شيئاً طبيعياً وليس من الأمور المستحيلة.

كل محاولة لإرضاء الله بدون المحبة أمر لا معنى له «إن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى أحترق ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئاً» ١ كو ١٣: ٣. لهذا السبب قال المسيح «محبة الله هى الوصية الأولى، ومحبة القريب الوصية الثانية، وعلى هاتين الوصيتين يتعلق كل شئ».

إن هذا الترتيب الذى رتبه المسيح فى جوابه جدير بالملاحظة، واجبنا الأول هو محبة الله وبعد ذلك محبة القريب. ولكن هناك بعض الناس من يعكسون هذا الترتيب ويقولون إننا «نحب أقرباءنا أولاً وعندئذ نتعلم كيف نحب الله». قال المسيح فى الموعظة على الجبل «أطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» مت٦: ٣٣. لقد تعلمنا لا أن نحب الله فقط بل ينبغى أن تكون

محبتنا له فوق كل شئ وقبل كل شئ. ينبغى أن يكون له المكان الأول فى أفكارنا وفى ميولنا وفى كل تصرفاتنا.

ربما يسأل أحدهم: هل يمكن أن تكون المحبة وصية ؟ هذا سؤال يستحق الاعتبار. فكيف تأمر إنساناً بأن يحب؟ المحبة انفعال نفسانى ينبع من داخل الانسان. فإن كان الأمر كذلك فكيف أحب الله أو قريبى تنفيذاً لأمر أو وصية؟

لا يجب أن ننكر بأن المحبة ما هى إلا انعطاف شخص نحو آخر أو جاذبية قوية بين الأفراد. ولكن معنى كلمة المحبة أعمق من ذلك بكثير.

فى بعض الأحوال تكون المحبة هى العاطفة الطبيعية كما بين الأم وطفلها، حتى وإن قامت الأم بعمل أفسد محبة الطفل لها. ولكن هناك رباط طبيعى يربط بينهما. ولكن هذا لا يعنى أن الطفل ينبغى أن يتعلم كيف يطيع أمه، فالواجبات التى تربطه بأمه لابد أن يتعلمها. إن الشعور بالمحبة شعور ذاتى يتدفق من الداخل لكن واجبات المحبة شئ يجب أن نتعلمه.

وهكذا محبتنا لله، إنه من الطبيعى أن يحب الإنسان الله. والناس فى كل أمة يبحثون عن الله. ومحبتنا له لا تحتاج لأي عمل منا لإظهارها. ولكن الوصية تتعلق بالكيفية التى بها يعبر عن محبتنا لله. قد نحس بالشكر والعرفان بالجميل عندما نفكر فى الله. ونظن أن هذا الشعور هو كل مايطلبه منا- ولكن المسيح فى وصيته يعلمنا بأن نحبه من كل القلب والنفس والفكر.

وتشمل المحبة الإخلاص والأمانة والثقة. وهذه كلها تقع تحت سلطان إرادتنا. فعندما تحب الله يجب أن تحبه بإخلاص وأمانة وثقة- فكما يظهر الرجل محبته لزوجته فى أن يقوم بواجباته من نحوها طيلة حياته، هكذا تظهر محبتنا لله فى أمانتنا له كل أيام حياتنا.

نقرأ فى سفر الرؤيا كيف يدين الله ملاك كنيسة أفسس بالقول«إنك تركت محبتك الأولى» رؤيا ٣: ٤ وملاك كنيسة اللاودكيين بالقول «ليتك كنت حاراً أو بارداً .. هكذا لأنك فاتر ». يريدنا الله أن تكون محبتنا له قوية دائمة لا

تبرد مع مرور الأيام. وفى مثل الزارع وأنواع التربة المختلفة تكلم المسيح عن أولئك الذين سمحوا لشهوات العالم وغرور الغنى تخنقان الكلمة. إنها صورة مؤسفة صورة الشوك وهو يخنق الزرع الجيد، فلا ينتج ثمراً. وهكذا صورة المسيحى الذى تبرد محبته.

ربط المسيح محبة الله ومحبة القريب معاً. وفى مكان آخر شرح المسيح معنى محبة القريب. وفى مكان آخر من هذا الكتاب رأينا كيف أجاب المسيح عن بعض أسئلة الناس فى هذا الموضوع، فعندما سأله الكاتب «من هو قريبى». ذكر له قصة السامرى الصالح. ولما سأله بطرس، كم مرة أغفر لأخى . ذكر له قصة العبد الذى لم يسامح أخاه ولم يترك له دينه الصغير عليه بالرغم من ترك الله لدينه الكبير عليه. وكثيراً ما شدد المسيح على الجانب العملى من المحبة. اغفر، كن متواضعاً، كن عطوفاً نحو أخيك، فضل الآخرين على نفسك. هذه مظاهر المحبة المسيحية.

لنحذر من تجربة محبة أولئك الذين يحبوننا فقط. قال المسيح «إن كنتم تحبون الذين يحبونكم فأى أجر لكم » لقد كان هذا جواب المسيح لمن قال «تحب قريبك وتبغض عدوك» «ليس هكذا» قال المسيح «بل أقول لكم أحبوا أعدائكم .. صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردوكم» مت ٣

وهكذا أجاب المسيح على جميع مشاكلهم ومشاكلنا.

أن نحب الله فوق الكل.

وتحب قريبك (وكل إنسان هو قريبك).

إفعل هذا. ولا تدع شيئاً آخر يقلق أفكارك.

فى مشكلات حياتنا اليومية ..
يدخل يسوع معنا فى قلب التجربة
ويعيش معنا المأساة ... ويستجيب لنا ..
ولكن
بطريقته الخاصة .





١٠١٠٤٧٠٥